بسم الله الرحمن الرحيم



رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ بين صدق الحقيقة وافتراء المشككين

بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من 14– 2010/7/15م
بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية

إعداد
د/ محمد رمضان أبو بكر محمود
أستاذ مساعد بجامعة الأزهر بمصر وجامعة حائل بالسعودية

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هدى للمتقين ، وبعث رسوله محمداً ρ هادياً للعالمين ، والصلاة والسلام على من أوضح بسنته معالم الدين ، وبين بسيرته طريق الراشدين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، وعلى من اقتفى آثارهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين . جعلنا الله منهم . آمين . وبعد ،،،،

فإن السنة النبوية المطهرة تنال من هجوم أعداء الإسلام في الداخل والخارج القسط الوافر والنصيب الأكبر ، وذلك لما يعلمونه عنها من كونها منارة الإسلام ، وترجمان القرآن ، والبيان الشافي المفصل لشريعة الرحمن . وقد تركز الهجوم في الآونة الأخيرة على الصحيحين (صحيح البخاري ومسلم)، وذلك لما لهما من أثر عظيم في حفظ السنة ، وجمع أصح رواياتها في كتاب واحد ، ولما لهما من مكانة سامية عند المسلمين جميعاً ، فقد تلقتهما الأمة بالقبول ، وصارا عندها أصح الكتب وأوثقها بعد كتاب الله Y .

ومن أحاديث الصحيحين التي حاول أعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين في الآونة الأخيرة استغلالها في الهجوم على شخصية النبي ρ ، وتشويه صورته الكريمة أمام العالم حديث زواجه ρ بالسيدة عائشة – رضي الله عنها –وهي في التاسعة من عمرها . حيث ادعوا أن هذا الزواج شيء مشين ، وانتهاك للطفولة البريئة المتمثلة في شخصية السيدة عائشة ، وأنه لايوجد دافع وراء مثل هذا الزواج من رجل في الرابعة والخمسين من طفلة في التاسعة سوى المتعة الجسدية، وصاروا يقيسون السيدة عائشة على بنات التاسعة اليوم في المجتمعات المعاصرة .

وانطلى هذا الباطل – للأسف الشديد – على نفر من المؤرخين والباحثين المسلمين ، وزاد من تصديقهم له عوامل أخرى من مثل تقديمهم العقل على الشرع ، وافتتانهم بالمواثيق الدولية لحقوق المرأة والطفل ، ومحاولاتهم المستمرة التوفيق بينها وبين الإسلام حتى لايتهم الإسلام بالتخلف من وجهة نظرهم ، وفي نفس الوقت ما يقع أحيانا من تزويج بعض الآباء بناتهم الصغيرات من غير الأكفاء طلباً للمال أو المنصب والجاه.

فصار هؤلاء المؤرخون والكاتبون يبحثون عن أية شبهات يردون بها رواية الصحيحين في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ ، ويشككون العامة والخاصة في صحتها . بل صار بعضهم يضرب بها المثل على التشكيك في الصحيحين عامة . وبدأوا يشيعون أن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي – ρ– كانت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمرها على أكثر تقدير وصلوا إليه ، وليست في التاسعة كما هو مروي في الصحيحين .

وقد دفعني حبي للنبي ρ وسنته بوجه عام ، وللصحيحين بوجه خاص أن أقوم بتتبع هذه الشبهات التي يشاغبون بها على هذه الرواية المباركة وجمعها ؛ لكي أضعها في محك البحث العلمي أمام رواية الصحيحين ، فكان هذا البحث الذي عنونت له بـ : " **رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ بين صدق الحقيقة وافتراء المشككين** "

هدف البحث

يهدف البحث الذي بين أيدينا إلى الإجابة على سؤال كبير مفاده : هل أثرت هذه الشبهات التي وردت على رواية الصحيحين في شأن عمر السيدة عائشة عند زواجها من النبي ρ في صدقها وصحتها ؟ ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية حول كل شبهة من الشبهات على حدة على النحو التالي :

تساؤلات الدراسة

1 – ما أصل كل شبهة من هذه الشبهات ؟

2– هل تستطيع هذه الشبهات أن تقوم على ساق لتضعف أو توهن من رواية الصحيحين ؟

3– هل يوجد تعارض بين الشبهات التى أثاروها من الصحيحين مع هذه الرواية التي معنا ؟

4– هل مصادر هذه الشبهات تتساوق مع قيمة الصحيحين ومكانتهما العلمية ؟

منهج البحث

يعتمد هذا البحث في المبحث الرئيس منه على المنهج الجدلي ذلك " المنهج الذي يحدد طريقة التناظر والتحاور في الجماعات العلمية ، أو في المناقشات العلمية على اختلافها ."([1])

والمقصود من استعمال هذا المنهج في بحثي هذا دعوة أصحاب الشبهات حول رواية الصحيحين إلى الرجوع إلى الحق ، والتخلي عن اللجاجة والعناد في موقفهم من هذه الرواية التي بلغت أعلى درجات الصحة سنداً ومتناً لاتفاق صاحبي الصحيحين عليها .كما أمرنا رب العزة في القرآن الكريم حين قال :{ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .... } [النحل : 125]

طريقة البحث

من خلال المنهج السابق سلك الباحث طريقة في بحثه تتلخص في النقاط الآتية :

1 – عرض كل الروايات الواردة في الصحيحين لعمر السيدة عائشة حين زواجها بالنبي ρ .

2 – استنباط بعض الأسباب الدافعة إلى معارضة رواية الصحيحين بهذه الشبهات .

3 – التنويه بذكر أصحاب الشبهات ودوافعهم الظاهرة من خلال كتاباتهم .

4 – عرض كل شبهة على حدة والرد عليها عقبها مباشرة .

5 – الرجوع إلى مصدر الشبهة ، وبيان الأصل الذي بنيت عليه ، ثم الكر عليها بالبطلان من خلال هدم هذا الأصل من المصادر الإسلامية الأصيلة .

6 – الإلماح إلى أسباب ذيوع هذه الشبهات في عصرنا الحاضر .

الدراسات السابقة

---

[1] – انظر مناهج البحث العلمي الدكتور/ عبد الرحمن بدوي ص 19 ط/ وكالة المطبوعات بالكويت ط/ ثالثة 1977 .

لم أعثر على دراسة سابقة توافرت على رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ وما يدور حولها من افتراءات وشبهات ، وإنما قد يتعرض أحد الباحثين لهذه القضية في ثنايا بحثه كما فعل الباحث / محمود سليمان على في أطروحته للماجستير والتي بعنوان " أم المؤمنين عائشة ومروياتها في التفسير من الكتب الستة وتفسير الطبري "([1]) . حيث ذكر شبهات الأستاذ / العقاد الثلاثة حول عمر السيدة عائشة وقام بالرد عليها .

وهناك بعض المقالات المتناثرة والمحاضرات الصوتية لبعض الباحثين والدعاة على شبكة المعلومات الدولية حول الرد على بعض هذه الشبهات . لكن أحداً منها لم يستوعب جميع الشبهات ، فضلاً عن أن معظم الردود ليست علمية موثقة ، وبعضها يتسم بالضعف .

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي :

المقدمة : وتشتمل على هدف البحث ، ومنهجه ، وطريقته ، والدراسات السابقة ، وخطة البحث .

المبحث الأول : صدق الحقيقة في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ .

المبحث الثاني : شبهات المشككين في رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ والرد عليها .

الخاتمة : وبها أهم نتائج البحث وتوصياته .

وفي الختام .. أسأل الله Y أن أكون بهذا البحث المتواضع ممن يخدمون سنة الحبيب محمد ρ ، وأن يكون فاتحة خير لأن يستعملني في الدفاع عنها والذب عن مقام النبي ρ . وأن ينفع به قارئه ومؤلفه ، وكل من ينظر فيه ، ويرزقهم به شفاعة الحبيب ρ يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الباحث

محمد رمضان أبو بكر محمود

أستاذ مساعد بجامعتي الأزهر بمصر وحائل بالسعودية

[1] – رسالة ماجستير بقسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القري سنة 1410هـ

المبحث الأول

صدق الحقيقة في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ([1])

وردت رواية عمر السيدة عائشة – رضي الله عنها –عند زواجها بالنبي – ρ – في أصح كتب السنة في صحيحي البخاري ومسلم ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً : في صحيح البخاري :

روى الإمام البخاري عمر السيدة عائشة – رضي الله عنها – عند زواجها بالنبي – ρ –في خمسة مواضع من صحيحه وهي :

1–كتاب المناقب –باب تزويج النبي ρ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها

قال الإمام البخاري – رحمه الله – : حدثني فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : تزوجني النبي ρ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة ، فنزلنا في بني الحارث بن خزرج ، فوعكت ([2]) ؛ فتمزق شعري ، فوفى ([3]) جميمة ([4]) ، فأتتني أمي أم رومان ، وإني لفي أرجوحة([5]) ، ومعي صواحب لي فصرخت بي ، فأتيتها لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار – وإني لأنهج([6]) حتى سكن بعض نفسي – ثم أخذت شيئا من ماء ، فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله ρ ضحى ، فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين ."([7])

2 – وفي نفس الكتاب والباب بإسناد آخر قال – أيضاً – حدثني عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ρ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريبا من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين . "([8])

---

[1] – عبرت عن رواية الصحيحين بصدق الحقيقة ، وما يضادها بالافتراء والتشكيك ؛ لأن هذا ما يعتقده كل مسلم فاهم لدينه في الصحيحين ، ومع هذا اليقين بصدق رواية الصحيحين فإني لن أغفل ذكر شبهة وقفت عليها اعترض بها أحد على هذه الرواية ، وسأقوم – بمشيئة الله تعالى– بعرض شبهاتهم بصورة واضحة على حسب ما تقضيه الأمانة العلمية .

[2] – وعكت : أي ألمت بها الحمى{ النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري ج 5 ص 453 ط / المكتبة العلمية بيروت 1979م }

[3] – وفى : وفى الشيء ووفى إذا تم وكمل (النهاية في غريب الأثر – (ج 5 / ص 469)

[4] – جميمة : تصغير جمة وهي : ما سقط على المنكبين من الشعر (النهاية 1 /814)

[5] – أرجوحة : حبل يشد طرفاه في موضع عال ثم يركبه الإنسان ويرك وهو فيه سمى به لتحركه ومجيئه وذهابه { النهاية في غريب الأثر – 2 / 487}

[6] – النهج بالتحريك : الربو وتواتر النفس من شدة الحركة أو فعل متعب . {النهاية في غريب الأثر – (5 / 281)}

[7] – ج 3 ص 1063 ح/ 3894 ط/ دار ابن كثير –اليمامة – بيروت ط/ ثالثة 1987م

[8] – نفس الجزء والصفحة . ح / 3896 .

3- كتاب النكاح – باب إنكاح الرجل ولده الصغار لقوله تعالى { وَاللَّائِي لم يَحِضْنَ} فجعل عدتها ثلاثة أشهر قبل البلوغ

قال – رحمه الله – حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ρ تزوجها وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع ومكثت عنده تسعا . "([1])

4- وفي كتاب النكاح – أيضاً – باب تزويج الأب ابنته من الإمام وقال عمر خطب النبي ρ حفصة فأنكحته.

قال : حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن عائشة أن النبي ρ تزوجها وهي بنت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين . وقال هشام وأنبئت أنها كانت عنده تسع سنين . "([2])

5 – وفي نفس الكتاب – باب من بنى بامرأة وهي بنت تسع سنين .

قال الإمام البخاري حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن عروة : تزوج النبي ρ عائشة وهي ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع ومكثت عنده تسعا . "([3])

ثانياً : في صحيح الإمام مسلم :

روى الإمام مسلم في صحيحه عمر السيدة عائشة– رضي الله عنها – عند زواجها بالنبي – ρ – في كتاب النكاح – باب تزويج الأب البكر الصغيرة بعدة أسانيد على النحو التالي([4])

1- قال حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة ح وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال وجدت في كتابي عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت تزوجني رسول الله –ρ – لست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين . قالت : فقدمنا المدينة ، فوعكت شهرا ، فوفى شعري جميمة فأتتني أم رومان ، وأنا على أرجوحة ، ومعي صواحبي ، فصرخت بي ، فأتيتها ، وما أدرى ما تريد بي فأخذت بيدي ، فأوقفتني على الباب. فقلت هه هه. حتى ذهب نَفَسي ، فأدخلتني بيتا ، فإذا نسوة من الأنصار ، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر . فأسلمتني إليهن فغسلن رأسي وأصلحنني ، فلم يرعني إلا ورسول الله –ρ – ضحى فأسلمنني إليه."

2- وقال حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن هشام بن عروة ح وحدثنا ابن نمير – واللفظ له – حدثنا عبدة – هو ابن سليمان – عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت تزوجني النبي –ρ – وأنا بنت ست سنين ، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين ."

3- وقال حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة : أن النبى –ρ – تزوجها وهى بنت سبع سنين ، وزفت إليه وهى بنت تسع سنين ، ولعبها معها ، ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة "

---

[1] – ج 4 ص 1430 ح / 5133 .

[2] – نفس الجزء والصفحة ح /5134 .

[3] – ج4 ص 1435 ح / 5158 .

[4] – صحيح مسلم بترتيب / محمد فؤاد عبد الباقي ج 2 ص 1038 ح / 1422 ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت

4 – وقال حدثنا يحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم وأبو بكر بن أبى شيبة وأبو كريب قال يحيى وإسحاق أخبرنا وقال الآخران حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : تزوجها رسول الله –ρ– وهى بنت ست ، وبنى بها وهى بنت تسع ، ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة. "

فهذه الروايات التسع في الصحيحين تجمع على أن النبي – ρ – تزوج السيدة عائشة – أي عقد عليها – ، وهي في السادسة من عمرها ، وبنى بها – أي دخل بها – وهي في التاسعة من عمرها ما عدا رواية الزهري عن عروة عن عائشة في صحيح مسلم بلفظ سبع ، وقد أجاب الإمام النووي عن هذا الاختلاف في هذه الرواية فأحسن وأجاد حين قال : " وأما قولها في رواية تزوجني وأنا بنت سبع ، وفي أكثر الروايات بنت ست ، فالجمع بينهما أنه كان لها ست وكسر ، ففي رواية اقتصرت على السنين ، وفي رواية عدت السنة التي دخلت فيها والله أعلم "([1])

وتبعه الإمام ابن القيم في هذا التوفيق بين الروايتين فقال : " وليس شيء من هذا بمختلف ، فإن عقده ρ عليها كان وقد استكملت ست سنين ودخلت في السابعة ، وبناؤه بها كان لتسع سنين من مولدها ، فعبر عن العقد بالتزويج وكان لست سنين ، وعبر عن البناء بها بالتزويج وكان لتسع . فالروايتان حق . "([2])

وليس كون السيدة عائشة كانت في السادسة وأشهر حين عقد عليها النبي ρ ، وكانت في التاسعة من عمرها حين دخل بها مروي في الصحيحين فقط – وإن كانا كافيين في ذلك – ولكنه مروي في جميع كتب السنن والمسانيد والمعاجم مما لو استقصينا كل هذه الروايات وذكرناها لطال بنا المقام .

ولصدق هذا الأمر وحقيقته لم يختلف حوله الفقهاء والعلماء في جميع القرون السابقة ، والدليل على هذا ما قاله الإمام ابن كثير – رحمه الله – : " وقوله " تزوجها وهي ابنة ست سنين ، وبنى بها ، وهي ابنة تسع سنين " مما لاخلاف فيه بين الناس ، وقد ثبت في الصحاح وغيرها . "([3])

ومع تلقى الأمة جميعاً لرواية الصحيحين وغيرهما في عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ بالرضا والقبول طوال القرون السابقة خرج علينا في زماننا هذا من بني جلدتنا ، وممن يدينون بالإسلام من يطعن في صحة هذه الرواية ، ويجتهد في جمع الشبهات من هنا وهناك لردها ومعارضتها . وكأن الأمة جميعاً بعلمائها وفقهاءها نامت عن هذه الرواية طوال هذه القرون ليكتشفوا هم خطئها اليوم ! . وللرد على هؤلاء يأتي المبحث الآتي :

---

[1] – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج 9 ص 207ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثانية ، 1392هـ

[2] حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ج 6 ص 111 ط / دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية ، 1415

[3] – السيرة النبوية ج 2 ص 141 ط/ الحلبي ط 1964 م

المبحث الثاني

شبهات المشككين في رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ والرد عليها

استوقف عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ بعضاً من المؤرخين والباحثين في العصر الحديث ، ونظروا إلى الروايا ت التي وردت في الصحيحين وغيرهما ، والتي تنص على أن النبي ρ عقد عليها وهي في السادسة وعدة أشهر من عمرها ، وبنى بها وهي في التاسعة من عمرها نظرة استنكار ورد، وذلك لعدة أسباب :

1 – إتباعهم للمستشرقين وأعداء الإسلام في أن هذا الأمر لايقبله العقل في زماننا هذا لأن بنت التاسعة أو العاشرة اليوم تعد طفلة فكيف تطيق الزواج ؟ ، وكيف دخل بها النبي ρ وهي في هذه السن الصغيرة والطفولة البريئة ، فالعقل عندهم هو الفصل وليس الشرع .

2 – اجتياح العالم اليوم موجة المطالبة بحقوق المرأة والطفل في المواثيق الدولية والمنظمات الإنسانية حتى أصبحت هذه المواثيق بمثابة ورقة ضغط على الحكومات والدول التي لاتطبق مفهوم الغرب في حرية المرأة والطفل ، لذا يريد هؤلاء الباحثون أن يؤكدوا أن الإسلام يتماشى مع هذه المواثيق ، ولو على حساب النصوص الشرعية.

3 – استغلال قلة قليلة من المسلمين لهذه الروايات الصحيحة استغلالاً سيئاً في تزويج بناتهم الصغيرات من كبار السن – خاصة الأثرياء منهم – ، فبدل أن يقوم هؤلاء الباحثون بدورهم في توضيح كيفية تنزيل الرواية والحكم الشرعي على الواقع الحالي ، مع بيان اختلاف الزمان ، و تغير الدوافع وراء الزواج ذهبوا يردون الروايات الصحيحة لسوء تطبيق المسلمين لها ، وكأن الدين هو الذي يجب أن يتغير للواقع وليس العكس ولو طبقنا هذا على كثير من الأحكام الشرعية لضاع الإسلام ولم يبق منه إلا اسمه .

وتختلف أهداف هؤلاء الطاعنين في رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ ؛ فبعضهم يهدف إلى إبطال شبهات المستشرقين حول النبي ρ فقط ، ويأتي على رأسهم الأستاذ / العقاد – رحمه الله – في كتابه (الصديقة بنت الصديق) حيث يقول بعد أن رجح أن السيدة عائشة كانت ما بين الثانية عشرة والخامسة عشرة عند الزواج : " ذلك هو التقدير الراجح الذي ينفي ما تقوله المستشرقون على النبي بصدد زواجه بعائشة في سن الطفولة الباكرة ، وكل تقدير غير ذلك فهو تقدير مرجوح . "([1])

وبعضهم يدفعه إلى ذلك تنقية التراث والتاريخ الإسلامي مما يسميها (أباطيل وخرافات لايقبلها العقل) ، ويأتي على رأس هؤلاء المؤرخ الدكتور/ حسين مؤنس في كتابه (تنقية أصول التاريخ الإسلامي) حيث يقول : " لقد أثبتنا نحن – جماعة من مؤرخي الإسلام – أن عائشة عندما تزوجت رسول الله كان عمرها تسعة عشر عاما ، وهذا هو المعقول المقبول . "[2] ، وتبعه والدكتور/ إبراهيم علي شعوط في كتابه (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ).وبعضهم يهدف إلى سن قوانين ، ووضع عقوبات لتزويج القاصرات ، ويأتي على رأس هؤلاء

---

[1]- ص 49 ط/ نهضة مصر ط / رابعة 2005م

[2] – تنقية أصول التاريخ الإسلامي للمؤلف ص 5 – 6 ط/ دار الرشاد بالقاهرة ط/ الأولى 1997م .

الدكتورة / سهيلة زين العابدين حماد – عضو جمعية حقوق الإنسان السعودية– في عدة مقالات نشرتها في صحيفة (المدينة السعودية([1])

وبعضهم يظن بذلك أنه ينتصر للسيدة عائشة ، ويبين الحقيقة التي غابت عن المسلمين طوال هذه القرون ، ويأتي على رأس هؤلاء الدكتور / عبد المنعم الحفني في موسوعته " أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر "([2]) ، والدكتورة / جواهر سرور باسلوم في رسالتها في الماجستير بعنوان " دراسة لحياة أم المؤمنين عائشة على ضوء الكتاب والسنة"([3])، وبعض الدعاة الذين انساقوا وراء هؤلاء .

وأخيراً تهدف قلة من هؤلاء الباحثين إلى الطعن في كتب التراث عامة والصحيحي ن خاصة من خلال رد رواية عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ ، ويمثل هؤلاء الصحفي / إسلام بحيري([4]) ، ومن أيده وافتخر به من التيار العلماني في مصر . حيث نشر هذا الصحفي مقالاً مطولاً في (جريدة اليوم السابع الاليكترونية)([5]) عبارة عن دراسة تاريخية حديثية ادعى فيها أن عمر السيدة عائشة عندما تزوجها النبي ρ كان ثمانية عشر عاماً ، ثم عقب في آخر هذه الدراسة قائلاً : " فلا يجب أن نجل البخاري ومسلم أكثر مما نجل الرسول الكريم ، فلنا أن نقبل ما رفضوه ، وأن نرفض ما قبلوه ، فالإسلام ليس حكرا على الفقهاء والمحدثين ولا على زمانهم فقط ، لذا فإننا نستطيع وبكل أريحية أن نستدرك على كل كتب الحديث والفقه والسيرة والتفسير ، وأن ننقدها ونرفض الكثير مما جاء بها من أوهام وخرافات لا تنتهي ، فهذه الكتب في النهاية محض تراث بشري لا يجب ولا ينبغي أن يصبغ بالقدسية أو الإلهية أبدا ، فنحن وأهل التراث في البشرية على درجة سواء ، لا يفضل أحدنا الآخر ، فصواب أعمالهم لأنفسهم والأخطاء تقع علينا.)

ومما لاشك فيه أن كل هؤلاء جميعاً لكي يصلوا إلى تحقيق أهدافهم قاموا بجمع شبهات حول رواية الصحيحين ، واعتبروا هذه الشبهات أدلة تهدم وتطعن في رواية الصحيحين وكتب السنة جميعاً في كون عمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ تسعة أعوام وبضعة أشهر .

وقد تتبعت هذه الشبهات التي ذكروها جميعا فبلغت ثلاث عشرة شبهة سأعرضها – بمشيئة الله تعالى – واحدة تلو الأخرى دون التركيز على قائليها لأنهم جميعاً ينقلونها عن بعضهم البعض ، وبعضهم يضيف على من سبقه شبهة أو اثنتين ...وهكذا ، وسوف أرد على الشبهة بعدها مباشرة لكي يقف القارئ على إبطال شبهاتهم شبهة بعد الأخرى فينجلي الحق ، وينبلج الصبح لذي عينين ، وذلك على النحو التالي :

---

[1] – صحيفة المدينة السعودية بتاريخ 2010/3/2م– و 3/9 /2010م

[2] – ص 115 – 116 ط/ مكتبة مدبولي بالقاهرة ط / أولى 2003م .

[3] – ص 30 وما بعدها والرسالة بجامعة أم القرى – كلية الشريعة – الدراسات العليا الشرعية 1402هـ–

[4] إسلام بحيري : صحفي شاب حاصل على الماجستير من بريطانيا في تجديد مناهج الفكر الإسلامي ، ويعمل رئيس مركز الدراسات الإسلامية بجريدة اليوم السابع الالكترونية www.facebook.com

[5] – جريدة اليوم السابع الخميس 2008/10/16م

الشبهة الأولى : قول السيدة عائشة " لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين "

من الشبهات التي يستند إليها هؤلاء الرافضون لرواية الصحيحين ما أخرجه البخاري نفسه في باب (جوار أبي بكر في عهد النبي) أن السيدة عائشة قالت : « لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله طرفي النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قِبَلَ الحبشة ....الحديث »([1])

واستدلالهم على هذا النحو : السيدة عائشة تقول : إنها لم تعقل أبويها إلا وهما يدينان الدين ، وذلك قبل هجرة الحبشة كما ذكَرَت ، وتقول إن النبي ρ كان يأتي بيتهم كل يوم ، وهو ما يبين أنها كانت عاقلة لهذه الزيارات ، والمؤكد أن هجرة الحبشة – إجماعا بين كتب التاريخ – كانت في العام الخامس من بدء البعثة النبوية فلو صدقنا رواية الإمام البخاري أن عائشة ولدت في العام الرابع من بدء الدعوة ، فهذا يعني أنها كانت رضيعة عند هجرة الحبشة ، فكيف يتفق ذلك مع جملة (لم أعقل أبوي) ، وكلمة أعقل لا تحتاج توضيحا .

والرد على هذه الشبهة على هذا النحو :

1 – الهجرة إلى الحبشة حدثت مرتين – كما هو معلوم من كتب السيرة – المرة الأولى في بداية السنة الخامسة من البعثة عند اشتداد الإيذاء على النبي ρ والصحابة في مكة ، ثم عاد المهاجرون الأوائل – وكان عددهم قليلاً – إلى مكة بعد إسلام حمزة وعمر – رضي الله عنهما – ، فلما أعلنت قريش مقاطعة النبي ρ وبني هاشم ومن آمن ، ودخلوا جميعا في شعب أبي طالب خرج الصحابة مرة ثانية إلى الحبشة، وذلك ما بين العام السادس والتاسع من البعثة ، وعددهم اثنان وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة ، وهذه الهجرة الثانية للحبشة ([2]).

والسؤال هنا متى خرج أبو بكر مهاجراً إلى الحبشة ؟

والإجابة على ذلك من خلال كتب السيرة أنه خرج بعد الهجرة الثانية في أواخر السنوات الثلاث للمقاطعة الظالمة من قريش للنبي ρ والمؤمنين وبني هاشم ، أي في أواخر السنة الثامنة وأوائل السنة التاسعة .

والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق في السيرة ذكر عقب خروج أبي بكر وفاة أبي طالب ، ووفاة أبي طالب كانت في السنة التاسعة من البعثة المعروفة بعام الحزن عند كتاب السيرة والتاريخ .([3])

وذكر السهيلي والشامي خبر نقض صحيفة المقاطعة عقب خروج أبي بكر ، ونقض الصحيفة كان في العام التاسع من البعثة ([4])، وهو يؤيد ما ذكرناه .

---

[1] – صحيح البخاري ك/ الكفالة ب/ جوار أبي بكر في عهد النبي ρ وعقده 3 / 96 ح / 2297 .

[2] انظر / الروض الأنف للسهيلي 228/3 ط/ دار الفكر بيروت 1989م – وطبقات ابن سعد 1 /207 ط/ دار صادر بيروت د.ت

[3] – سيرة ابن هشام 2 /219 ط/ دار الجيل بيروت 1411هـ

[4] – الروض الأنف للسهيلي 2 /158 – السيرة الشامية 413/2 ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة 1997م .

وجزم بهذا صاحب السيرة الحلبية فقال : (ومما أوذى به أبو بكر الصديق τ ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما ابتلى المسلمون بأذى المشركين أي وحصروا بني هاشم والمطلب في شعب أبي طالب ، وأذن ρ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة ، وهي الهجرة الثانية خرج أبو بكر τ مهاجرا نحو أرض الحبشة .)([1])

وقال الإمام ابن كثير عن زمن خروج أبي بكر : (كل هذه القصص ذكرها ابن إسحق معترضا بها بين تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ، وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة ، وحصرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها، وهى أمور مناسبة لهذا الوقت ، ..)([2])

نستنتج من هذا أن معظم كتب السيرة تؤكد خروج أبي بكر بعد الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وفي أواخر سنين المقاطعة الظالمة أي في السنة الثامنة أو التاسعة ، ومن ثم تكون السيدة عائشة في ذلك الوقت في الرابعة أو الخامسة من عمرها ، وهذا يتناسب تماماً مع حديثها في صحيح البخاري وقولها " لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين " ، ويتناسب مع كونها متذكرة للزيارات التي كانت يأتي فيها رسول الله ρ إلى بيتهم غدوة وعشياً ، خاصة إذا علمنا أنها تفوق أقرانها في حدة الذكاء ، وقوة الذاكرة ، وصفاء الذهن .

2 – قول السيدة عائشة " لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين " يؤيد أنها ولدت بعد البعثة وليس قبلها ، لأن معناها أنها فتحت عينيها على الحياة فوجدت أبويها مسلمين ، أما كونها ولدت قبل البعثة بأربع سنوات – كما يزعم هؤلاء – فهذا يتنافى مع هذه الجملة لأن معنى ذلك أنها أدركتهما على الشرك .

3 – رواية السيدة عائشة لحديث خروج أبي بكر مهاجراً نحو الحبشة ، وأمثاله من الأحاديث كحديث الهجرة وحديث بدء الوحي مما يسميه علماء الحديث (مرسل الصحابي) أي مما سمعته من أبيها أو أمها أو أحد من الصحابة فروته عنهم ، وكون هذا الصحابي الذي روت عنه غير معلوم لا يضر ؛ لأن الصحابة كلهم عدول في النقل عن رسول الله ρ كما هو مقطوع به في القرآن والسنة .

يقول ابن الصلاح في مقدمته : ثم إنا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه : مرسل الصحابي مثل ما يرويه (ابن عباس) وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله ρ ، ولم يسمعوه منه ؛ لأن ذلك في حكم الموصول المسند لأن روايتهم عن الصحابة ، والجهالة بالصحابي غير قادحة ؛ لأن الصحابة كلهم عدول."([3])

الشبهة الثانية : كنت جارية ألعب عند نزول سورة القمر .

يحاول هؤلاء أن ينقضوا رواية الصحيحين بما أخرجه البخاري – أيضاً– في (باب – قوله: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) عن (عائشة) قالت: «لقد أنزل على محمد بمكة ، وإني جارية ألعب [بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ]» ([4]) ويقولون : " المعلوم بلا خلاف أن سورة (القمر) نزلت بعد أربع سنوات من

---

[1] – السيرة الحلبية 484/1 ط/ دار المعرفة بيروت 1400هـ

[2] – السيرة النبوية 2/ 66 – 67 مرجع سابق .

[3] – مقدمة ابن الصلاح – (1 / 31) ط / مكتبة الفارابي الطبعة : الأولى 1984 م

[4] – صحيح البخاري ك/ التفسير ب/ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر 6 / 144 ح/ 4876 .

بدء الوحي ، فلو صدقنا رواية البخاري تكون (عائشة) إما أنها لم تولد أو أنها رضيعة حديثة الولادة عند نزول السورة ، ولكن (عائشة) تقول (كنت جارية ألعب) أي أنها طفلة تلعب ، فكيف تكون لم تولد بعد ؟

الرد على هذه الشبهة :

بُنيت هذا الشبهة على أن نزول سورة القمر كان في العام الرابع من البعثة ، وأوهم مدعيها القارئ بأن هذا الأمر من الأمور المسلمة الذي ليس فيها خلاف ، ولا أدري من أين أتى هؤلاء بهذا المعلوم الذي ليس فيه خلاف ! ، ولكي تقف – أخي القارئ – على افترائهم في هذا أقول لك الآتي :

1 – عند الرجوع إلى كتب التفسير وأسباب النزول نرى أن جمهور المفسرين مجموعون على نزول سورة القمر بأكملها([1]) بمكة دون تحديد لأي عام نزلت فيه خلال الفترة المكية .

قال صاحب الدر المنثور : " مكية وآياتها خمس وخمسون . أخرج النحاس عن ابن عباس قال : نزلت سورة القمر بمكة . وأخرج ابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : نزلت بمكة سورة اقتربت الساعة . وأخرج ابن مردوية عن ابن الزبير مثله ."([2])

1 – ذكر المفسرون بعض روايات في سبب نزول سورة القمر تشير إلى أن هذه المعجزة كانت قبيل الهجرة من هذه الروايات ما ذكره الإمام مجاهد عن أبي معمر عن أبي مسعود قال : رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي ρ إلى المدينة ، شقة على أبي قبيس ، وشقة على السويدا ء فقالوا : سحر القمر ، فنزلت (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَ الْقَمَرُ) ([3]).

وما رواه الإمام الطبري – بسنده – عن عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر حتى رأوا شقيه. وروى العَوْفي، عن ابن عباس نحو هذا."([4])

2 – قطع الشيخ / سيد طنطاوي – رحمه الله – في تفسيره بأن نزول سورة القمر كان قبل الهجرة بخمس سنين أي في العام الثامن من البعثة .

فقال : " وكان ذلك بمكة قبل هجرته ρ بنحو خمس سنين ، وقد رأى هذا الانشقاق كثير من الناس . "([5])

---

[1] – شذ عن هذا الإجماع مقاتل بن سليمان وتبعه الزمخشري حيث استثنيا منها الآية رقم (45) في رواية ، وفي رواية ثلاث آيات (44– 45 – 46) فقالا : نزلت يوم بدر ، والصحيح رأي الجمهور لأن الرسول ρ أعاد قراءتها يوم بدر { انظر التحرير والتنوير 27 /165 ط / دار سحنون للنشر والتوزيع تونس 1997 م – الكشاف للزمخشري 651/5 ط / مكتبة العبيكان ط أولى 1998م

[2] الدر المنثور للإمام السيوطي 669/7 ط/ مركز هجر للبحوث والدراسات العربية و الإسلامية ط/ أولى 2003م .

[3] – تفسير الماوردي 409/5 ط/ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان بدون تاريخ

[4] – تفسير الطبري 22 / 569 ط/ مؤسسة الرسالة ط : الأولى 1420 هـ – 2000 م

[5] – الوسيط 1/ 4019

وهذا يؤيد رواية السيدة عائشة في صحيح البخاري أنها كانت جارية تلعب عند نزول السورة ؛ لأن عمرها سيكون حينئذٍ أربع سنوات .

3 – عند الرجوع إلى كتب السيرة التي روت معجزة انشقاق القمر لا نرى إجماعاً بينها على زمن هذه المعجزة العظيمة في المرحلة المكية للدعوة ، فالإمام ابن كثير في سيرته يجعلها بعد معجزة الإسراء والمعراج أي في العام التاسع من البعثة بعد خروج النبي ρ من شعب أبي طالب بعد انتهاء المقاطعة الظالمة.([1]) . وهذا يؤكد ما ذكرته السيدة عائشة في رواية الإمام البخاري أنها كانت جارية تلعب عند نزول السورة ؛ لأنها ستكون في الخامسة من عمرها .

من خلال هذه الأدلة يتأكد أن نزول سورة القمر لم يجمع العلماء على كونه في العام الرابع من البعثة بل قصارى القول هناك بعض كتب السيرة ذكرت ذلك قبل الهجرة إلى الحبشة ، وخالفتها بعض الكتب الأخرى كسيرة ابن كثير ، وهو ما أميل إليه لأن القرآن الكريم ذكر تعنت الكافرين وطلبهم الآيات في أواخر سورة الإسراء :

قال – تعالى – : " وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً [الإسراء : 90–93] وهو ما يشير إلى أن معجزة انشقاق القمر كانت بعد رحلة الإسراء والمعراج .

ومن ثم تتوافق روايات الصحيحين بعضها مع بعض ؛ لأن السيدة عائشة كانت في الرابعة أو الخامسة من عمرها وهي جارية تلعب عند نزول سورة القمر في العام الثامن أو التاسع من البعثة ، وتكون عندما عقد النبي عليها في العام العاشر أو الحادي عشر من البعثة قد جاوزت السادسة ودخلت في السابعة من عمرها ، ويكون الرسول ρ قد بنى بها في العام الأول من الهجرة وهي قد جاوزت التاسعة بقليل .

الشبهة الثالثة : اشتراك السيدة عائشة في غزوة أحد .

من الشبهات التي يثيرها هؤلاء الرافضون لرواية الصحيحين في سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من اشتراك السيدة عائشة في غزوة أحد

عن أنس τ قال : " لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ρ قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب ، وقال غيره تنقلان القرب على متونهما ، ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم. "([2])

في حين أن النبي ρ – كما ذكر البخاري ومسلم أيضاً – رد من الصحابة ممن كان في مثل سنها ، أو أكبر منها مثل عبد الله بن عمر ورافع بن خديج وغيرهما من صغار الصحابة .

---

[1] – السيرة النبوية 2 /113 مرجع سابق .

[2] –– صحيح البخاري (4 / 33) – وهذا لفظه – صحيح مسلم 3/ 1443

عن نافع عن بن عمر قال " عرضني رسول الله ρ يوم أحد في القتال ، وأنا بن أربع عشرة سنة ، فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا بن خمس عشرة سنة فأجازني . "([1])

وقالوا : هذا دليل على كونها عند عزوة أحد في الخامسة عشرة من عمرها ، وغزوة أحد كانت في العام الثالث للهجرة أي بعد دخول النبي ρ بها بعامين . ومن ثم تكون عند زواجها بالنبي ρ في العام الثالث عشر من عمرها ، وليس العام التاسع أو العاشر كما في الصحيحين .

ويأتي الرد على هذه الشبهة من خلال ما يلي :

1 – لم يكن اشتراك السيدة عائشة في غزوة أحد من أجل أن تقاتل مع المقاتلة ، وإنما خرجت مع النبي ρ من أجل سقيا الماء للجيش ، –كما في الحديث الأول الذي استدل به هؤلاء– ، وقد رد النبي ρ من رد من صغار الصحابة من أجل اشتراكهم في القتال ، كما هو واضح من حديث ابن عمر السابق :(عرضني رسول الله ρ يوم أحد في القتال) ، فالعبرة ليست فقط بالبلوغ عند الإجازة والرد في المعركة ، وإنما بالعمل المكلف به من يخرج ، ومما يؤكد ذلك أذن النبي ρ لبعض الصغار في الخروج للغزوات من أجل أعمال مساندة للقتال كإذنه لحارثة بن سراقة – وكان غلاماً صغيراً–بالخروج يوم بدر لأجل النظارة ([2]) .

2 – إن رد النبي ρ لعبد الله بن عمر وأمثاله عن غزوة أحد من أجل كونهم لم يبلغوا الحلم بعد ، وليس من أجل السن بدليل قول عبد الله بن عمر في رواية " ولم يرني بلغت "([3]) . أما السيدة عائشة فقد كانت بالغة عند زواجها بالنبي ρ ، ومن ثم خرجت بعد زواجها بسنتين في هذه الغزوة كما خرجت غيرها من النساء البالغات.

الشبهة الرابعة : رواية السيدة عائشة أحاديث لم تعاصرها .

يدعي هؤلاء المشككون في رواية الصحيحين : " أن هناك تناقضاً بين هذه الرواية وبين رواية السيدة عائشة لأحاديث كثيرة في الصحيحين لم تعاصرها . بل لم تكن موجودة على ظهر الأرض حين حدوثها كروايتها حديث صعود النبي ρ على جبل الصفا ودعوته المشركين للإسلام في بداية الدعوة الجهرية ، وحديث بدء نزول الوحي على النبي ρ في غار حراء ... وغيرها من الأحاديث ."

والرد على هذه الشبهة سهل ميسور وذلك من خلال الآتي :

1 – إن هذا النوع من الأحاديث التي يستشهدون بها على أن السيدة عائشة ولدت قبل البعثة هو مما يسميه العلماء بمرسل الصحابي ، ومعناه : أن يروي الصحابي عن صحابي آخر حديثاً دون أن يذكر الصحابي الذي روى عنه .

وعن معناه وحكمه يقول الإمام النووي : " وأما مرسل الصحابي : وهو روايته ما لم يدركه ، أو يحضره كقول عائشة –رضي الله عنها– : أول ما بدىء به رسول الله ρ من الوحي الرؤيا الصالحة . فمذهب الشافعي

---

[1] – صحيح مسلم 3 / 1490ح /1868– صحيح اليخاري 3 / 177 ح / 2664 .

[2] – صحيح البخاري 20/4 ح /2809 .

[3] – صحيح ابن حبان ج11 ص 30 –31 ح/ 4728 وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط الشيخين ط / مؤسسة الرسالة – بيروت ط /ثانية 1993تحقيق : شعيب الأرنؤوط

والجماهير : أنه يحتج به . وقال الأستاذ الإمام أبو إسحاق الاسفراينى الشافعي : لا يحتج به إلا أن يقول انه لا يروى إلا عن صحابي . والصواب الاول ."([1])

قال الحافظ أبو علي الغساني : " ليس يعد مرسل الصحابي مرسلا (أي : لا يأخذ حكم المرسل) ، فقد كان يأخذ بعضهم عن بعض ، ويروي بعضهم عن بعض ، وقال كان لعمر بن الخطاب جار من الأنصار يتناوب معه النزول إلى رسول الله ρ ينزل هو يوما والآخر يوما قال : فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وقال البراء " ما كل ما نحدثكم به عن رسول الله ρ سمعناه من رسول الله ρ ، ولكن سمعناه وحدثنا أصحابنا ، وكنا لا نكذب "([2])

2 – إن السيدة عائشة ليست وحدها التي روت مثل هذه الأحاديث عن الصحابة ، ورفعتها للنبي ρ دون ذكر من روت عنه فهناك عبد الله بن عباس τ وقد كان صغيرا حين وفاة النبي ρ ، ومع ذلك روى أحاديث كثيرة لم يدركها ، وأيضاً أبو هريرة τ وقد أسلم في فتح خيبر في العام السابع من الهجرة وروى أحاديث كثيرة من هذا النوع ، وكذلك أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهما من صغار الصحابة .

الشبهة الخامسة : إذن البكر ، وكيف يخالف قوله فعله ؟

قال المدعون برد رواية الصحيحين في معرض شبهاتهم التي يستندون إليها : " أخرج البخاري : في كتاب النكاح باب/ لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها) قال رسول الله ρ : «لا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يا رسول الله : وكيف إذنها ؟ قال: أن تسكت» فكيف يقول الرسول الكريم هذا ويفعل عكسه ؟.

فالحديث الذي أورده البخاري عن سن أم المؤمنين عند زواجها ينسب إليها أنها قالت كنت ألعب بالبنات (بالعرائس) ، ولم يسألها أحد عن إذنها في الزواج من النبي ρ ؟، وكيف يسألها وهي طفلة صغيرة جداً لا تعي معنى الزواج ، وحتى موافقتها في هذه السن لا تنتج أثرا شرعيا لأنها موافقة من غير مكلف.

ثم يشنع بعضهم على استنباط الفقهاء من زواج النبي ρ بالسيدة عائشة – رضي الله عنها – الحكم بجواز تزويج الأب لابنته الصغيرة قبل الدخول فيقولون : " أما أبتناء الفقهاء والمحدثين وأولهم البخاري على هذا الحديث (أي على حديث زواج النبي بالسيدة عائشة) أوهاما من الأحكام عن جواز تزويج الصغيرات ، فهذه صفحة سوداء من صفحات التراث . "([3])

ومن يقول بهذا لا يطعن في الصحيحين فقط . بل يطعن في جميع الفقهاء والمحدثين على مر العصور ، وهذا مما يدفعنا لأن نطيل معهم قليلا في دحض هذه الشبهة على النحو التالي :

الرد على هذه الشبهة :

---

[1] – شرح النووي على مسلم – (1 / 30) ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/ الثانية ، 1392هـ

[2] – النكت على مقدمة ابن الصلاح – الزركشي – (1 / 503) ط/ أضواء السلف بالرياض ط/ الأولى 1419هـ – 1998م

[3] – هذا كلام الصحفي / إسلام بحيري في جريدة اليوم السابع الخميس 2008/10/16م

لم يخالف قول النبي ρ فعله كما يدعي هؤلاء المدعون وذلك لعدة أمور :

1 – البكر التي تستأذن في الحديث المذكور هي البكر البالغة ، إذ لا معنى لاستئذان من لا تدري ما الإذن ، ومن يستوي سكوتها وسخطها ، وهي الصغيرة – كما ذكر الإمام ابن حجر –([1])

قال أبو قرة سألت مالكا عن قوله ρ (والبكر تستأذن في نفسها) أيصيب هذا القول الأب ؟ قال : لا لم يعن الأب بهذا إنما عنى به غير الأب ، قال ونكاح الأب جائز على الصغار من ولده ذكرا كان أو أنثى ، ولا خيار لواحد منهم قبل البلوغ . قال ولا ينكح الصغيرة أحد من الأولياء غير الأب .([2])

وقال الإمام ابن حزم لبيان اتفاق قول النبي ρ مع فعله :

" فإن قال قائل: فإن هذا فعل منه ρ وليس قولا ، فمن أين خصصتم البكر دون الثيب ، والصغيرة دون الكبيرة، وليس هذا من أصولكم قلنا : نعم، إنما اقتصرنا على الصغيرة البكر للخبر الذي رويناه من طريق مسلم ، عن ابن عباس أن النبي ρ قال : " الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها في نفسها وإذنها صماتها " . فخرجت الثيب صغيرة كانت أو كبيرة بعموم هذا الخبر ، وخرجت البكر البالغ به أيضا ، لأن الاستئذان لا يكون إلا للبالغ العاقل للأثر الثابت ، عن النبي ρ : " رفع القلم، عن ثلاث : فذكر فيهم الصغير حتى يبلغ " ، فخرج البكر التي لا أب لها بالنص المذكور أيضا ، فلم تبق إلا الصغيرة البكر ذات الأب فقط ([3])".

2 – ذكر الإمام البخاري قبل هذا الباب ببابين : " باب إنكاح الرجل ولده الصغار " ليدل على أن الصغير والصغيرة بالنسبة للأب لهما حكم خاص ، وهو جواز أن يزوجهما قبل البلوغ ، وذلك لما للأب من شفقة ظاهرة على أولاده دون غيره من الأولياء .

3 – إن هذا الحكم لم يستنبطه الفقهاء والمحدثون من رواية الصحيحين لزواج النبي ρ بالسيدة عائشة فقط ، وإنما استنبطوه – أيضاً – من عموم قوله تعالى في القرآن الكريم : " وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ .....[الطلاق : 4] ، ولذا صدر الإمام البخاري الباب السابق في صحيحه بالآية الكريمة فقال : إنكاح الرجل ولده الصغار لقوله : (وَاللائِى لَمْ يَحِضْنَ) [الطلاق : 4] ، فَجَعَلَ عِدَّتَهَا ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ قَبْلَ الْبُلُوغِ.

وعلق المهلب على ترجمة البخاري قائلاً : أجمع العلماء على أنه يجوز للأب تزويج ابنته الصغيرة التى لا يوطأ مثلها لعموم الآية : (واللائى لم يحضن)[الطلاق4].([4])

4 – إن الحكم بجواز أن يزوج الأب ابنته الصغيرة قبل البلوغ مما أجمع عليه العلماء ، وقد نقل الإجماع على ذلك عدد كبير من أهل العلم حتى قال الإمام النووي " هو مما أجمع عليه المسلمون "([1])

---

[1] فتح الباري 9 /193 ط/ دار المعرفة – بيروت 1379 هـ

[2] – الاستذكار 400/5–401 ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 1421هـ – 2000م

[3] – المحلى 9 / 460 ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ.

[4] شرح ابن بطال 247/7 ط/ مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – 1423هـ – 2003م الطبعة : الثانية

5 – أن تزويج الآباء لبناتهم الصغيرات يعود إلى حكمة جليلة وهي : " أن الكفء عزيز وجوده ، وقد يكون هناك حاجة ماسة للصغيرة تقتضي تزويجها في وقت من الأوقات ، كأن تكون في زمان أو مكان كثرت فيه الفتن ، أو يكون والدها فقيرا معدما ، أو عاجزا عن الكسب ، أو عن رعاية أسرته لأي سبب من الأسباب ، فتحتاج الصغيرة إلى من يحفظها ويصونها وينفق عليها ، أو لدى أبيها مال كثير وقد نزل به مرض الموت فيريد أن يحفظ ابنته ، ويحفظ مالها بأن يختار لها الكفء التقي .

ولذلك فإنه من المصلحة للصغيرة أن يعطى من لديه الحرص على مصلحتها والشفقة عليها كأبيها الحق في تزويجها من يرى أن مصلحتها في الزواج منه ، وعدم تضييع وتفويت الكفء الذي لا يوجد في كل وقت، والذي يحصل لها غالبا بزواجها منه مصالح كثيرة في حاضرها ومستقبلها في دينها ومعيشتها وغير ذلك.

ومن ثم فإنه يجب على الأب أن يتقي الله Ψ ، وأن يقوم بهذه الأمانة التي حمله الله إياها خير قيام ، وأن يكون هدفه عند تزويج ابنته الصغيرة مراعاة مصالحها هي ، وليست مصلحته هو لتتحقق هذه المصالح الكثيرة "([2]) .

6– إن ما يثيره البعض حول هذا الحكم من كيفية زواج الصغيرة والدخول بها ؟ يعود إلى الجهل بالأحكام الشرعية ؛ فالعلماء لم يجيزوا الدخول بالصغيرة حال صغرها ، بل اشترطوا أن تصل إلى حد تطيق فيه النكاح ، واستدلوا على هذا ببناء النبي ρ بالسيدة عائشة بعد ثلاث سنوات من العقد عليها

قال ابن بطال – رحمه الله – : " إلا أنه لا يجوز لأزواجهن البناء بهن إلا إذا صلحن للوطء واحتملن الرجال ، وأحوالهن تختلف فى ذلك على قدر خلقهن وطاقتهن ، وكانت عائشة حين تزوج بها النبى ρ بنت ست سنين ، وبنى بها بنت تسع . "([3])

وقد جعل الإمام أحمد – رحمه الله – حد الدخول بالصغيرة تسع سنين ، والصحيح ما عليه الجمهور أن ذلك يختلف باختلاف أحوالهن .

قال النووي – رحمه الله – " وأما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به ، وإن اختلفا فقال أحمد وأبو عبيد تجبر على ذلك بنت تسع سنين دون غيرها. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة حد ذلك أن تطيق الجماع ويختلف ذلك باختلافهن ولا يضبط بسن . وهذا هو الصحيح وليس في حديث عائشة تحديد ، ولا المنع من ذلك فيمن أطاقته قبل تسع ، ولا الإذن فيمن لم تطقه ، وقد بلغت تسعا قال الداودي : وكانت عائشة قد شبت شبابا حسنا رضى الله عنها . "([4])

---

[1] – حكى إجماع العلماء ابن المنذر في الإجماع ص 103 ط / مكتبة الفرقان بعجمان ط/ أولى 1999م ، والنووي في شرح صحيح مسلم 9 \ 206 ، والحافظ ابن حجر في فتح الباري 12 \ 319 وغيرهم الكثير والكثير .

[2] – ولاية تزويج الصغيرة د / عبد الله بن عبد العزيز الجبرين 258/33 بحث منشور ضمن مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية

[3] – شرح ابن بطال 172/7– 173 مرجع سابق .

[4] – شرح النووي على مسلم 9 / 206 مرجع سابق .

7- إن إساءة بعض ضعاف النفوس من الآباء استعمال هذا الحق في حق بناتهن لايدعونا إلى رد الأحاديث الصحيحة الثابتة ، فإذا انتشرت ظاهرة تزويج الآباء بناتهن قبل البلوغ من غير الكفء النادر في بلدٍ ما كان من حق ولي الأمر في هذه البلاد أن يتدخل لتقييد هذا المباح بوضع سن محددة لتزويج البنات . وهذا علاج ناجع لهذه الظاهرة بدلاً من الطعن في الأحاديث الصحيحة .

الشبهة السادسة : عرض السيدة خولة بنت حكيم السيدة عائشة ليتزوجها رسول الله ρ .

مما استدل به الأستاذ/ العقاد – رحمه الله – على رفع سن السيدة عائشة ، ونقلها عنه من بعده أن خولة بنت حكيم – رضي الله عنها – عرضت البكر والثيب – المتزوجة سابقا – على النبي ρ فهل كانت تعرضهن على سبيل جاهزيتهن للزواج ، أم على أن إحداهما طفلة يجب أن ينتظر النبي ρ بلوغها النكاح .

المؤكد من سياق الحديث أنها تعرضها للزواج الحالي بدليل قولها : (إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا) ، ولذلك لا يعقل أن تكون عائشة في ذاك الوقت طفلة في السادسة من عمرها ، وتعرضها (خولة) للزواج بقولها (بكرا).([1])

والرد على هذه الشبهة من عدة وجوه :

(أولها : أن أم المؤمنين لو كان قد اكتمل بلوغها بالفعل لما كان هناك داع إلى تأجيل البناء بها إلى السنة الأولى من الهجرة ، بل لتم الأمر في حينه في مكة كما حدث مع أم المؤمنين سودة ، إذ لا يوجد مانع من ذلك سوى حداثة سنها .

الوجه الثاني : أنه لا يلزم من وجود الخطبة أو العقد أن يتم البناء على الفور 0 وهذا من الأمور المتعارف عليها في القديم والحديث، ومن شواهد ذلك : خطبة مطعم بن عدي لها لابنه جبير 0إذ إنه لم يتم في أمرها سوى العدة .

الوجه الثالث : الذي يبدو من محاورة خولة لرسول الله ρ أنها أرادت أن تجد مدخلا إلى نفس النبي ρ للتحدث معه في هذا الشأن الخاص حين هابه الرجال ... فلا مسوغ أن تحمل كلماتها معان لم تقصدها ، وإذا كان ولابد من ذكر هذا الخاطر والتعويل عليه بأنه هو الدافع الأساسي ، فقد رشحت خولة – رضي الله عنها – سودة بنت زمعة ، وهي الثيب المجربة الخبيرة بشئون بيت الزوجية لتقوم برعاية بناته ρ ، ولم تكتف باقتراح عائشة فحسب حتى يقال : لولا أنها في سن الخطبة والزواج لما ذكرتها .)([2])

الوجه الرابع : لعل السيدة خولة رأت عند السيدة عائشة علامات البلوغ المبكرة فرشحتها للزواج من النبي ρ ، وانتظر النبي ρ هذه السنوات الثلاث لكي يكتمل بلوغها تماماً .

الشبهة السابعة : خطبة جبير بن مطعم للسيدة عائشة قبل الإسلام .

ذكر الأستاذ / العقاد – أيضاً – في أدلته على عدم ترجيح رواية الصحيحين في تقدير سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ مسألة خطبتها لجبير بن مطعم ، واستند إلى ذلك من جاء من بعده فقالوا :

---

[1] – الصديقة بنت الصديق ص 48 – 49 .

[2]– أم المؤمنين السيدة عائشة ومروياتها في التفسير ص 29 – 30 بتصرف رسالة ماجستير للباحث / محمود سليمان علي – بقسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القري سنة 1410هـ

(إن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل خطبتها إلى النبي ، وأن خطبة النبي كانت في نحو السنة العاشرة للدعوة . فإما أن تكون قد خطبت لجبير بن مطعم لأنها بلغت سن الخطبة ، وهي قرابة التاسعة أو العاشرة ، وبعيد جداً أن تنعقد الخطبة على هذا التقدير مع افتراق الدين بين الأسرتين . وإما أن تكون قد وعدت لخطيبها وهي وليدة صغيرة كما يتفق _ أحيانا – بين الأسرتين المتآلفة – ، وحينئذ يكون أبو بكر مسلماً عند ذلك ، ويستبعد جدا أن يعد بها فتى على دين الجاهلية قبل أن تتفق الأسرتان على الإسلام ، فإذاً كان أبو بكر قد وعد بها هذا الموعد قبل إسلامه ، معنى ذلك أنها ولدت قبيل الدعوة ، وكانت تناهز العاشرة يوم جرى حديث زواجها وخطبها النبي ρ .)([1])

وللرد على هذا الشبهة أقول :

ينبي هذا الكلام على فرضية استحالة وجود مصاهرة بين المسلمين والمشركين في سنوات الدعوة الأولى حين كان المشركون يؤذون المسلمين الأوائل ، وهذه الفرضية ليست صحيحة ومن ثم يتهدم كل ما بني عليها، والدليل على عدم صحتها ما يلي :

4 – تحريم المصاهرة بين المسلمين والمشركين لم يحرم إلا بعد الهجرة بسنوات عندما نزلت سورة الممتحنة .

يقول الإما م ابن العربي : " قوله " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " قال أهل التفسير : أمر الله Y من كان له زوجة مشركة أن يطلقها ، وقد كان الكفار يتزوجون المسلمات ، والمسلمون يتزوجون المشركات ، ثم نسخ الله ذلك في هذه الآية وغيرها .... فطلق عمر بن الخطاب τ حينئذ قريبة بنت أمية ، وابنة جرول الخزاعي .)([2])

فعمر بن الخطاب كان إلى وقت نزول الآية متزوجاً من امرأتين من المشركين ، وهو من هو في صلابته في الحق وشدته في تطبيق أحكام الإسلام .

قال الإمام ابن كثير في تفسير آية الممتحنة السابقة (هذه الآية التي حرمت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة .)([3])

2 – كان أبو العاص بن الربيع متزوجا بالسيدة زينب بنت رسول الله ، وكان مشركاً ، وهاجرت السيدة زينب بعد بدر ، وأسلم العاص بعد ذلك ، ولم يفرق الرسول بينهما([4]) ، ولم يقل أحد كيف يصاهر الرسول المشركين في مكة . بل كانت ابنتاه السيدة رقية وأم كلثوم قد عقد عليها ابني أبي لهب عتبة وعتيبة لولا أن أباهما أبا لهب أمرهما بطلاقهما . فمن أين القول : إن المصاهرة في ذلك الوقت كانت غير جائزة أو غير معقولة بين المسلمين والمشركين .

---

[1] – الصديقة بنت الصديق ص 48 – 49 مرجع سابق.

[2] – أحكام القرآن لابن العربي 4/ 231 ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . بدون تاريخ .

[3] تفسير ابن كثير 8 / 93 ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع ط/ ثانية 1999م .

[4] – زواج السيدة زينب – رضي الله عنها– بالعاص بن الربيع ثابت في الصحيحين ، وروى أبو داود في سننه بسنده أن رسول الله ρ ردها عليه بالنكاح الأول ج2 ص253 ح/ 2240 وقال الألباني : صحيح

من خلال هذين الدليلين يتبين أنه لا صحة البتة لنفي المصاهرة بين المسلمين والمشركين في سنوات الدعوة المكية ، ومن ثم لا دليل على كون السيدة عائشة ولدت قبل البعثة بسبب خطبتها لجبير بن مطعم . بل هذه الخطبة أحد الأدلة على كون السيدة عائشة كانت صالحة للخطبة قبل خطبة النبي ρ لها .

الشبهة الثامنة : مقارنة سن السيدة عائشة بسن السيدة أسماء بنت أبي بكر– رضي الله عنهما –

يدعي هؤلاء لكي يضعفوا رواية الصحيحين : (أن كل المصادر التاريخية([1]) تقول إن (أسماء) كانت تكبر (عائشة) بعشر سنوات ، كما تروي ذات المصادر بلا اختلاف واحد بينها ، أن (أسماء) ولدت قبل الهجرة للمدينة بـسبعة وعشرين عاما ، . إذن يتأكد بذلك أن سن (عائشة) كان أربع سنوات مع بدء البعثة النبوية في مكة ، ومؤدى ذلك أن الرسول عندما نكحها في مكة في العام العاشر من بدء البعثة النبوية كان عمرها أربع عشرة سنة ، وأنه بنى بها بعد ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، أي في نهاية السنة الأولى من الهجرة وبداية الثانية ، فيصبح عمرها آنذاك ثمانية عشرة سنة كاملة . وهي السن الحقيقية التي تزوج فيها النبي الكريم (عائشة) .

الرد على هذه الشبهة :

ينبني هذا الشبهة على أصل واحد وهو : الفارق بين عمر السيدة عائشة والسيدة أسماء عشر سنين ، ثم يتفرع عنه بعد ذلك حساب تاريخ ميلاد السيدة أسماء قبل الهجرة بسبع وعشرين عاما ، ثم تاريخ وفاتها في سنة ثلاث وسبعين للهجرة ، ثم عقد المقارنة بين عمريهما بناء على القاعدة التي جعلوها من المسلمات التاريخية وهي العشر سنوات ينتج في النهاية أن عمر السيدة عائشة كان عند الزواج حوالي ثمانية عشر عاماً .

ومن ثم إذا انهدمت القاعدة التي بنو عليها ذلك انهدمت هذا الشبهة من أساسها ، وهاك ما يدل على أن هذا الفارق الزمني ليس من الأشياء المسلمة الثابتة كما يدعون :

أولاً : ذكر كثير من المؤرخين عند الترجمة للسيدة أسماء أنها كانت أسن من السيدة عائشة ، ولم يحددوا الفارق العمري بينهما من هؤلاء المؤرخين : (وأبو نعيم في معرفة الصحابة – وابن عساكر في تاريخ دمشق – وابن الأثير في أسد الغابة) وهذه بعض النصوص الواردة في هذه الكتب

قال أبو نعيم : (كانت أخت عائشة لأبيها ، وكانت أسن من عائشة .)([2])

وقال ابن عساكر : (كانت أخت عائشة لأبيها وكانت أسن من عائشة ولدت قبل التاريخ (أي قبل الهجرة) بسبع وعشرين سنة)([3])

وقال ابن الأثير : (وكانت أسن من عائشة وهي أختها لأبيها وكان عَبْد الله بن أبي بكر أخا أَسْمَاء شقيقها.)([4])

---

[1] – هذه العبارة وأمثالها مما يفيد التعميم ليست من أسلوبي ، وإنما هو من أسلوب هؤلاء المشككين خاصة الصحفي / إسلام بحيري

[2] – معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني 398/22 ط/ دار الوطن للنشر بالسعودية ط/ أولى 1998م

[3] – تاريخ دمشق لابن عساكر 69 / 9 ط/ دار الفكر بيروت 1991م

[4]– أسد الغابة لابن الأثير 3 / 309 ط/ دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

إذاً هذا الفارق لم يكن محل اتفاق بين المؤرخين –كما يدعون – .

ثانياً : رأي الإمام الذهبي في السير أن الفارق بين عمر السيدة أسماء والسيدة عائشة يصل إلى بضع عشرة سنة فقال عند الترجمة للسيدة أسماء " وكانت أسن من عائشة ببضع عشرة سنة. "([1]) ، والبضع – كما هو معلوم – في اللغة من ثلاث إلى تسع ، وبناء على رأي الإمام الذهبي تكون السيدة عائشة تجاوزت التاسعة عند بناء النبي ρ بها ويكون الفرق العمري بينها وبين السيدة أسماء حوالي ثماني عشرة سنة تقريباً ، وهو ما يتوافق مع الأحاديث الصحيحة

ثالثاً : معظم كتب التاريخ والتراجم التي ذكرت هذا الفارق الزمني بالتحديد(عشر سنوات) تستند إلى رواية واحدة ترجع إلى عبد الرحمن ابن أبي الزناد([2]) ، فماذا يقول علماء الحديث في عبد الرحمن من ناحية الجرح والتعديل

يقول ابن أبي حاتم الرازي وابن حجر العسقلاني عنه : (قال ابن محرز عن يحيى بن معين ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث ليس بشيء . وقال معاوية بن صالح وغيره وعن ابن معين ضعيف . وقال الدوري عن ابن معين لا يحتج بحديثه وهو دون الدراوردي . وقال صالح بن أحمد عن أبيه مضطرب الحديث . وقال محمد بن عثمان عن ابن المديني كان عند أصحابنا ضعيفا...وقال النسائي لا يحتج بحديثه .)([3])

فهذا رأي علماء الجرح والتعديل في ابن أبي الزناد فكيف نعتمد على تقديره في الفرق الزمني بين السيدة أسماء والسيدة عائشة ، وإنما ذكرت ذلك لأن هؤلاء الرافضين لرواية الصحيحين يتكلمون في هشام بن عروة في حين أنهم يبنون شبهة من أكبر شبهاتهم على رواية عبد الرحمن أبي الزناد على الرغم ما قاله علماء الجرح والتعديل فيه .!

رابعاً : لم يقطع عبد الرحمن بن أبي الزناد في كون الفارق العمري بين السيدة عائشة والسيدة أسماء عشر سنوات ، والدليل على ذلك ما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عنه قال : " حدثنا ابن أبي الزناد قال : قالت أسماء بنت أبي بكر وكانت أكبر من عائشة بعشر سنين أو نحوها . "([4])

فكلمة (أو نحوها) توضح أنه غير جازم في هذا التحديد ، وهذا يوهن متن الرواية بالإضافة إلى ضعف سندها لورودها عن عبد الرحمن بن أبي الزناد – كما سبق في النقطة السابقة –

خامساً : هناك اختلاف في تقدير سن السيدة أسماء عند وفاتها ، ولم تجمع جميع المصادر على كونها بلغت مائة سنة

---

[1] – سير أعلام النبلاء 2 / 288 ط / مؤسسة الرسالة بيروت –الطبعة التاسعة 1413 هـ 1993 م

[2] – انظر الاستيعاب لابن عبد البر 1 /185ط/ دار الأعلام بالأردن ط/ أولى 2002م

[3] – تهذيب التهذيب لابن حجر ترجمة رقم 356 ج 156/6– 157– ط/ دار الفكر بيروت ط/ أولى 1984م وكذا الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 5/ 525 }ط/ دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

[4] – الاستيعاب 1 / 185 مرجع سابق .

قال الذهبي : "قال ابن أبي الزناد: كانت أكبر من عائشة بعشر سنين. قلت (أي الإمام الذهبي): فعلى هذا يكون عمرها إحدى وتسعين سنة."([1])

وعلى تقدير الإمام الذهبي هذا سيتهدم الشق الثاني التي استندت إليه الشبهة ، وهو أن عمر السيدة أسماء حين الوفاة يصل إلى مائة سنة .

نخلص من هذا أن لدينا رأيين في الفارق بين عمري السيدة عائشة والسيدة أسماء – رضي الله عنهما –، وكلا الرأيين يؤيدان صحة رواية الصحيحين في كون السيدة عائشة كانت في التاسعة من عمرها عندما بنى بها النبي ρ ، ويتضح ذلك من خلال الجدولين الآتيين :

الرأي الأول : أنها كانت أسن من عائشة دون تحديد كما قال أبو نعيم – وابن عساكر – وابن الأثير ، أو بينهما بضع عشرة سنة كما قال الإمام الذهبي

الاسم	ولادتها	عند الهجرة	تاريخ وفاتها	عند الوفاة	الفارق بينهما
السيدة أسماء	قبل البعثة ب 14 سنة	27 سنة	73هـ	100 سنة	18 سنة
السيدة عائشة	بعد البعثة ب 4 سنوات	9 سنوات	58هـ على خلاف	67 سنة	

الرأي الثاني : أن بينهما عشر سنوات على فرض صحة رواية عبد الرحمن ابن أبي الزناد

الاسم	ولادتها	عند الهجرة	تاريخ وفاتها	عند الوفاة	الفارق بينهما
السيدة أسماء	قبل البعثة ب 6 سنوات	19 سنة	73هـ	92 سنة	10 سنوات
السيدة عائشة	بعد البعثة ب 4 سنوات	9 سنوات	58هـ على خلاف	67 سنة	

الشبهة التاسعة : حساب عمر السيدة عائشة مقارنة بعمر السيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنهما –:

يقولون في تكذيب رواية الصحيحين : (يذكر ابن حجر فى (الإصابة) أن السيدة فاطمة بنت النبي ولدت عام بناء الكعبة، والنبي ρ في الخامسة والثلاثين من عمره ، وأنها أسن – أكبر – من عائشة بخمس سنوات،

---

[1] – سير أعلام النبلاء 3 / 380 مرجع سابق .

وعلى هذه الرواية نجد أن (ابن حجر) وهو شارح (البخارى) ، يكذب رواية (البخارى) ضمنيا ؛ لأنه إن كانت (فاطمة) ولدت والنبي في عمر الخامسة والثلاثين ، فهذا يعني أن (عائشة) ولدت والنبي يبلغ الأربعين ، وهو بدء نزول الوحى عليه ، مما يعني أن عمر (عائشة) عند الهجرة كان يساوي عدد سنوات الدعوة الإسلامية في مكة وهي ثلاث عشرة سنة ، وليس تسع سنوات.)

وللرد على هذه الشبهة أقول :

1 – من نقل عن الإمام ابن حجر هذه الرواية لم يكن أميناً في نقله ، وإنما أخذ منه ما يحلو له ، وسكت عن الباقي . على طريقة من قرأ " ولا تقربوا الصلاة " وسكت دون أن يكمل الآية ؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لو نقل النص حرفياً لبان خداعه للقارئ ، وإيهامه له بأن وقت ميلاد السيدة فاطمة ليس فيه سوى قول واحد ، مع أن ابن حجر في نفس النص ذكر عدة أقوال في ذلك ، ثم عقب عليها ، وهاك نص ابن حجر لنقف على حقيقة هؤلاء القوم ، وكيف يتعاملون مع النصوص :

يقول الإمام ابن حجر في الإصابة : (واختلف في سنة مولدها ، فروى الواقدي عن طريق أبي جعفر الباقر قال : قال العباس ولدت فاطمة والكعبة تبنى ، والنبي ρ ابن خمس وثلاثين سنة وبهذا جزم المدائني . ونقل أبو عمر عن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ρ . وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة أو أكثر ، وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين .)([1])

فقد ذكر ابن حجر في كلامه قولين للواقدي وأبي عمر ، ثم عقب عليهما برأيه : أنها ولدت قبل المبعث بقليل فكيف يدعون على ابن حجر أنه يكذب رواية الصحيحين ؟؟

2 – عند الرجوع إلى كتب التراجم للتحقق من وقت ميلاد السيدة فاطمة سنجد – على سبيل المثال – الإمام الذهبي في السير قال : " مولدها قبل المبعث بقليل "([2]) ، ولم يذكر ابن عبد البر في (الاستيعاب) سوى رواية أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ρ ([3])

فهذه الروايات تؤكد رواية الصحيحين في سن السيدة عائشة حين زواجها من النبي ρ ؛ لأن السيدة فاطمة كانت أكبر منها بخمس سنوات ، وهي مولودة قبيل البعثة ، والسيدة عائشة ولدت بعد البعثة بأربع سنوات ، فتكون السيدة عائشة عند الهجرة تناهز التاسعة من عمرها .

الشبهة العاشرة : السيدة عائشة أسلمت قبل الجهر بالدعوة كما في رواية ابن كثير

ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) عن الذين سبقوا بإسلامهم : «ومن النساء : أسماء بنت أبى بكر وعائشة وهي صغيرة فكان إسلام هؤلاء في ثلاث سنين ورسول الله ρ يدعو في خفية ، ثم أمر الله Y رسوله بإظهار الدعوة »([1])

---

[1] – الإصابة 54/8 ط/ دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى 1412هـ بتحقيق : علي محمد البجاوي

[2] – سير أعلام النبلاء 2 / 119مرجع سابق .

[3] – الاستيعاب 2 /112 مرجع سابق .

قالوا : هذه الرواية تدل على أن السيدة عائشة قد أسلمت قبل أن يعلن الرسول الدعوة في عام الرابع من بدء البعثة النبوية ، ومعنى ذلك أنها آمنت على الأقل في العام الثالث ، فلو أن عائشة على حسب رواية (البخاري) ولدت في العام الرابع من بدء الوحى ، فمعنى ذلك أنها لم تكن على ظهر الأرض عند جهر النبي ρ بالدعوة في العام الرابع ، أو أنها كانت رضيعة ، فكيف تكون من الذين أسلموا في ذلك الوقت ؟ إن هذا يناقض رواية الصحيحين .

الرد على هذه الشبهة :

1- الرواية المنسوبة للإمام ابن كثير في البداية والنهاية نقلها عن الإمام محمد ابن إسحاق صاحب السيرة ونص كلام ابن إسحاق : (ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أخو بني عدي بن كعب، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ، أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة)([2])

وعند الرجوع إلى سيرة ابن إسحاق نجد أن ابن إسحاق لم يذكر سنداً لهذا السرد عن أحد من الصحابة ، أو التابعين إنما أرسل الكلام من عنده ، ويكفي هذا لتضعيف الرواية المنسوبة لابن إسحاق .

2- لعل ابن إسحاق أو أحد رواة السيرة عنه وهم فذكر اسم السيدة عائشة وهو يسرد أسماء من أسلم قديماً، والدليل على ذلك ما ذكره صاحب السيرة الشامية تعقيباً على كلام ابن إسحاق السابق حين قال : (قال في الزهر والعيون والدرر: وهو وهم لم تكن عائشة ولدت بعد فكيف تسلم وكان مولدها سنة أربع من النبوة ؟)([3])

3 – قد تكون السيدة عائشة في ذلك الوقت رضيعة في المهد ، وإنما نسب ابن إسحاق لها الإسلام لإسلام والديها ؛ لأن الطفل في المهد ينشأ على الإسلام ، ولا يغيره عن فطرته سوى والديه ، وحيث إن أبويها كانا مسلمين ، وهي صغيرة في المهد ، فبطبيعة الحال ستكون مسلمة على دين والديها .

كما قال رسول الله ρ : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .... الحديث ([4])"

4- عند المقارنة العلمية بين رواية الصحيحين في سن السيدة عائشة ، ورواية سيرة ابن إسحاق لو كانت ثابتة بالفعل من حيث قوة المصدرين ، وثبوتهما ، ومكانتهما عند العلماء لا نجد وجهاً للمقارنة ، وسنجد جميع العلماء يطرحون رواية سيرة ابن إسحاق لمخالفتها ما ورد في الصحيحين .

الشبهة الحادية عشرة : قول الطبري كل أولاد أبي بكر ولدوا في الجاهلية

---

[1] – البداية والنهاية 3/ 49 ط/ دار هجر للنشر والتوزيع بدون تاريخ .

[2] – السيرة النبوية لابن إسحاق 1/ 46 وسيرة ابن هشام 2/ 92 ط/ دار الجيل بيروت سنة1411هـ

[3] سبل الهدى والرشاد 2 / 308 مرجع سابق .

[4] – متفق عليه . صحيح البخاري ك/ الجنائز ب/ إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه... 2 / 95 ح / 1385 صحيح مسلم ك/ القدر ب/ معنى كل مولود يولد على الفطرة 4 / 1066 ح/ 2658 .

يدعون على الإمام الطبري أنه جزم بيقين في كتابه (تاريخ الأمم) أن كل أولاد أبى بكر τ قد ولدوا في الجاهلية .وبهذا تكون السيدة عائشة ولدت قبل البعثة فيكون عمرها عند الهجرة ما يزيد على ثلاثة عشر عاماً.

الرد على هذه الشبهة :

1 – لا أدري هل نسي هؤلاء الذين ينتسبون إلى البحث العلمي أن من شروطه : الأمانة في النقل خاصة عند نسبة الأقوال إلى قائليها – كما قال علماؤنا إذا كنت ناقلاً فالصحة وإن كنت مدعياً فالدليل – .لكنه ليس النسيان إنما هو التزوير المتعمد ظنا منهم أن أحداً لن يبحث وراءهم .وهذا ما كان مع هذا الكلام المنسوب للإمام الطبري والطبري منه براء ، وإليك نص الإمام الطبري لتعلم ذلك

قال رحمه الله– تحت عنوان : ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق τ : (حدث علي بن محمد عمن حدثه ومن ذكرت من شيوخه قال : تزوج أبو بكر في الجاهلية قتيلة ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي ... فولدت له عبد الله وأسماء ، وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان ... فولدت له عبدالرحمن وعائشة فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية ، وتزوج في الإسلام أسماء بنت عميس وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب ... فولدت له محمد بن أبي بكر ، وتزوج أيضا في ا لإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد ... وكانت نسأ حين توفي أبو بكر فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم .)[1]

وكما هو واضح من النص أن حديث الإمام الطبري كان يدور حول نساء أبي بكر τ ، وذكر أنه تزوج امرأتين في الجاهلية ، وامرأتين في الإسلام ، وذكر أولاد الزوجتين اللتين تزوجهما في الجاهلية وقال : " هؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية. " فهل يمكن لعاقل أن يفهم من هذه العبارة أن أولاد أبي بكر ولدوا في الجاهلية .

2 – لو فرضنا جدلاً أن كلام الإمام الطبري في عبارته السابقة يوهم ذلك . فكيف يذكر الإمام نفسه في نفس النص أولاداً لسيدنا أبي بكر ولدوا في الإسلام وهما محمد وأم كلثوم .

3 – ثم انظر إلى هذه الألفاظ المضللة في كلام هؤلاء : " (الطبري) يجزم بيقين في كتابه (تاريخ الأمم) أن كل أولاد (أبى بكر) قد ولدوا في الجاهلية ." هكذا "يجزم بيقين " ، ثم " كل أولاد أبي بكر " فأين اليقين ؟؟، وأين كل الأولاد ؟؟ ، وقد ولد لسيدنا أبي بكر ثلاثة أولاد في الإسلام هما السيدة عائشة ، ومحمد وأم كلثوم .

الشبهة الثانية عشرة : سنة الأنوثة في حب المبالغة في صغر السن .

لجا الأستاذ / العقاد – رحمه الله – ، ومن وافقه في هذا إلى تأويل رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ بأن هذا العمر الذي ذكرته السيدة عائشة هو من قبيل ما تحبه المرأة من الظهور بين أترابها بصغر سنها ، وسمى ذلك " سنة الأنوثة الخالدة " واعتمد في ذلك على أمرين :

1 – أنها لم تكن تعرف سنها الحقيقي لأنه لم يكن مدونا في وثيقة .

2 – أنها كثيرا ما تحب وصف نفسها بالصغر مثل قولها وكنت جارية حديثة السن .

---

[1] – تاريخ الرسل والملوك 2/ 351 دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1407هـ

وإليك نص كلامه : " أنها – أي السيدة عائشة – كانت تسمع تقديرات سنها ممن كان حولها لأنها لم تقرأها بداهة في وثيقة مكتوبة ، فكان يعجبها على سنة الأنوثة الخالدة أن تأخذ بأصغرها ، وكانت هي كثيرا ما تدل بالصغر بين أترابها فلا تنسى إذا اقتضى الحديث ذلك أن تقول : وكنت يومئذ جارية حديثة السن ، أو كنت يومئذ صغيرة لا أحفظ شيئا من القرأن ، إلى أشباه ذلك من أحاديثها في هذا المعنى . "([1])

ولعل ما دفع العقاد إلى هذا التأويل هو معرفته بورود رواية التسع في أصح كتب الحديث وهما صحيحي البخاري ومسلم ، فأراد أن يجد لها تأويلاً .إلا أن هذا التأويل جاء متعسفاً ، ويفهم منه عدم تصديقه بالرواية، وهذا ينتهي في النهاية إلى ردها ، والدليل على ذلك يظهر من خلال الرد على هذه الشبهة على النحو التالي:

الرد على هذه الشبهة من وجوه:

أولهاً : إن هذا التأويل يخرج الكلام من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي دون داع يقتضيه سوى ما ذكرته سابقا من التسليم للمستشرقين وأعداء الإسلام من استحالة الزواج في هذه السن قياساً على حال الفتيات في هذا السن اليوم

فإذا ثبت خطأ هذا القياس ، فما الداعي إلى إخراج الكلام الصريح من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، ونحن نعلم أن حمل اللفظ على الحقيقة أولى من حمله على المجاز .

ثانيها : هل هناك من يهتم بمعرفة بسن المرء أكثر من المرء نفسه ؟ والسيدة عائشة هنا هي التي تتحدث عن نفسها ، فهل يعلم العقاد أو غيره سنها أكثر منها ؟

ثم إن حديثها عن عمرها لابد أن يكون قد بلغ أخوتها الكبار أمثال عبد الرحمن وأسماء – خاصة والراوي له ابن أختها عروة بن الزبير – فلو بالغت هي في تقدير سنها ألم تكن أسماء أو عبد الرحمن ليصححا لها ذلك ، وهم ممن حضروا ولادتها ؟! فحيث إنهم سكتوا على هذا التقدير فهذا إقرار منهم بصحته.

ثالثها : كون عمر السيدة عائشة لم يكن مدونا في وثيقة مثل أيامنا هذه هل يطعن في معرفتها بعمرها الصحيح ؟ وماذا لو طبقنا هذا على عمر النبي ρ ومراحل الدعوة ، والغزوات ، وكل أحداث السيرة النبوية، وهي كلها لم تكن مدونة في وثائق ؟

إن العرب ، وأن كانت أمة أمية لم تنتشر في أوساطها الكتابة . لكن الله Y منحهم عوضا عن ذلك قوة الحافظة ، وحدة الذاكرة ، فكانوا يسجلون تواريخهم في ذاكرتهم وينقلونها لأبنائهم جيلا بعد جيلا ، وكانوا يؤرخون بالحوادث العظيمة التي تقع في العام ، فيسمون هذا العام بعام الفيل أو عام الحزن أو غير ذلك ، ومن هنا استطعنا معرفة عمر رسول الله ρ ، ومعرفة جميع تواريخ السيرة النبوية المطهرة .

---

[1] – الصديقة بنت الصديق ص 49 .

رابعها : إن الاستناد على قول السيدة عائشة في بعض الأحاديث أنها صغيرة السن للتدليل على أنها كانت من النساء اللاتي يحببن الدلال بتصغير أنفسهن قول فيه إسراف ومجازفة كبيرة ، والدليل على ذلك أن غير السيدة عائشة كان يصفها بذلك ، ويقرها على حداثة سنها ، فهل يمكن أن يفسر هذا أيضاً على أنه دلال النساء ؟

ومن ذلك ما ذكرته جاريتها بريرة عنها في حديث الأفك حين قالت : " لا أعتب عليها في شيء سوى أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله ."([1]) وهذا كان في السنة السادسة من الهجرة بعد زواجها بحوالي أربع سنوات .

وفي نفس قصة الأفك كان الرهط الذين يحملون هودجها على البعير لايشعرون بعدم وجودها فيه لخفتها وصغرها.([2])

ولما نزلت آية التخيير أشار عليها النبي ρ بمراجعة والديها لما يعلم من حداثة سنها . فهل يمكن أن يكون كل هذا من باب سنة الأنوثة الخالدة – كما يدعي العقاد – .

خامسها : إن السيدة عائشة لا تحتاج إلى أن تظهر صغر سنها بتقدير غير صحيح ، لأنها كانت أصغر نساء النبي ρ على أي تقدير في سنها ، فلا تحتاج إلى دلال النساء اللاتي يتحدث عنهن العقاد .

من خلال هذه الأدلة يظهر لنا ما في هذا التأويل من تعسف وبطلان ، ويكفي أن صاحبه يكذب إنساناً في معرفته بعمره ، ومعرفة أسرته ومن حوله بهذا العمر على الرغم من أنه لم ير ذلك الإنسان ، ولم يعاصره ، ولم يقم دليلاً صحيحاً على هذا التكذيب !!!!

الشبهة الثالثة عشرة : شبهة السند

ادعى من يشكك في رواية الصحيحين في زواج النبي ρ بالسيدة عائشة بأن سند الرواية الوارد في مواضع من صحيح البخاري معلول وضعيف فقالوا : " جاء الحديث الذي ذكر فيه سن (أم المؤمنين) في صحيح البخاري بخمس طرق ترجع كلها إلى راو واحد وهو عروة الذي تفرد بالحديث عن أم المؤمنين (عائشة) ، وتفرد بروايته عنه ابنه (هشام) ، وفي (هشام) تكمن المشكلة ، حيث قال فيه ابن حجر في (هدي الساري) و(التهذيب): « وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش : كان مالك لا يرضاه ، بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق ، قدم – جاء – الكوفة ثلاث مرات ، قدمةً – مرة – كان يقول: حدثنى أبي ، قال سمعت عائشة ، وقدم – جاء – الثانية فكان يقول: أخبرنى أبي عن عائشة،وقدم – جاء – الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة».

والمعنى : أن (هشام بن عروة) كان صدوقا في المدينة المنورة ،ثم لما ذهب للعراق بدأ حفظه للحديث يسوء، وبدأ يقول (عن) أبي ، بدلا من (سمعت أو حدثني)، وكلمة (سمعت) أو (حدثني) أقوى من قول الراوي (عن

---

[1] – متفق عليه صحيح البخاري ك/ الشهادات ب/ إذا عدل رجل أحداً فقال لانعلم إلا خيرا ... 3 / 168 ح 2637 صحيح مسلم ك/ التوبة ب/ في حديث الإفك وقبول توبة القاذف 4/ 1114 ح / 2769 .

[2] – انظر المرجعين السابقين نفس الكتاب والصفحة .

فلان) ، والحديث في البخاري هكذا يقول فيه (هشام)عن (أبي) وليس (سمعت أو حدثني)، وهو ما يؤيد الشك في سند الحديث .

ثم أن الإمام (مالك) قال : إن حديث (هشام) بالعراق لا يقبل. فإذا طبقنا هذا على الحديث الذي أخرجه البخاري لوجدنا أنه محق ، فالحديث لم يروه راو واحد من المدينة بل كلهم عراقيون ما يقطع أن (هشام بن عروة) قد رواه بالعراق ، بعد أن ساء حفظه ، ولا يعقل أن يمكث (هشام) بالمدينة عمرا طويلا ، ولا يذكر حديثا مثل هذا ، ولو مرة واحدة ، لهذا فإننا لا نجد أي ذكر لعمر السيدة (عائشة) عند زواجها بالنبي في كتاب (الموطأ) للإمام مالك ، وهو الذي رأى وسمع (هشام بن عروة) مباشرة بالمدينة ، فكفى بهاتين العلتين للشك في سند الرواية في البخاري."

وللرد على هذه الشبهة أقول :

1 –رواية سن السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ وردت في الصحيحين . فلماذا اقتصر هؤلاء على روايات الإمام البخاري دون روايات الإمام مسلم ؟

الجواب : لأنهم يعلمون يقيناً أن روايات الإمام مسلم فيها ما يدفع دعواهم الباطلة بالشك في سند الرواية حيث روى الإمام مسلم الرواية بثلاث طرق : الأول: هو طريق الإمام البخاري والذي ينتهي عند هشام بن عروة .والثاني من رواية الزهري عن عروة دون أي ذكر لهشام. والثالث: من رواية الأسود عن عائشة دون ذكر لعروة وهشام .([1])

ومن ثم إذا افترضنا – جدلاً – صحة ما ادعاه هؤلاء المدعون في طريق هشام بن عروة فماذا سيقولون عن طريقي الإمام مسلم الأخيرين للرواية ، وهم – دائما– ما يقرنون في الطعن بين الصحيحين ؟؟

2 –ادعي هؤلاء تفرد عروة بالرواية عن السيدة عائشة ، وهذا كلام عار عن الصحة تماما ، ففي أحد أسانيد الإمام مسلم رواية الأسود بن يزيد عن عائشة ، وليس الأسود فقط هو الذي تابع رواية عروة عن أم المؤمنين عائشة لهذا الحديث ففي غير الصحيحين متابعات كثيرة منها :

رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ، وابن أبي مليكة عن عائشة وهما عند النسائي في السنن .([2])

ورواية القاسم بن محمد ، وأبو عبيدة ، وعبد الملك بن عمير عن عائشة ، وهذه الروايات الثلاث في المعجم الكبير للطبراني ([3]) . ورواية يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة في مسند أبي يعلى([4]) .

فهذه المتابعات الكثيرة تؤكد صحة الرواية وتقويها .

---

[1] – راجع صحيح مسلم 2 / 1039 مرجع سابق .

[2] – راجع سنن النسائي (المجتبى) (6 / 131) ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط / ثانية 1986م – سنن النسائي الكبرى 3 / 279 ط/ مؤسسة الرسالة ط/ أولى 2001م

[3] – راجع المعجم الكبير 23 / 22– 29 ط/ مكتبة العلوم والحكم بالموصل ط/ ثانية 1983م .

[4] – راجع مسند أبي يعلى 8 / 132 ط / دار المأمون للتراث بدمشق ط / أولى 1984م .

3 –ادعوا كذلك تفرد هشام بالرواية عن عروة ، وهذا ادعاء باطل ، فها هو الإمام مسلم يروي الحديث بسنده عن الزهري عن عروة – و الإمام الزهري من هو في مكانته وإمامته في السنة – ، وليس الإمام الزهري فقط هو الذي تابع رواية هشام عن عروة . بل تابعها أيضا أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان) عن عروة عند الإمام الطبراني في المعجم الأوسط ([1]).

4 –نأتي إلى سند الإمام البخاري للرواية المذكورة حيث ادعي هؤلاء ضعف الرواية ، وأداروا هذا الحكم على راو واحد من السند وهو هشام بن عروة – رحمه الله – فما موقف علماء الجرح والتعديل من هشام ؟

5 –قال ابن سعد في طبقاته عنه : ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة ([2]) . وقال أبو حاتم الرازي : ثقة إمام في الحديث ([3]). وأورده ابن حبان في الثقات وقال عنه : كان متقنا ورعاً فاضلاً حافظاً ([4]). ووصفه الإمام الذهبي فقال : الإمام الثقة شيخ الإسلام([5]) . ويكفي هذا لبيان منزلة هشام بن عروة عند أئمة الحديث وعلمائه الأوائل .

6 –هشام بن عروة روى عنه كل الأئمة بما فيهم الإمام مالك في الموطأ ، وخرج حديثه أئمة الكتب الستة ، قال الإمام الذهبي عن حديثه : " وحديثه محتج به في " الموطأ " والصحاح، " والسنن . "([6])

ويكفي أن الإمامين البخاري ومسلم خرجا له في الصحيحين فهذه شهادة بعدالته لا تدانيها شهادة أخرى ، ولا يقبل بعدها طعن فيه إلا بدليل قاطع .

قال ابن حجر : " ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح ، فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما....

وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا ، فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام ، فلا يقبل إلا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي وفي ضبطه مطلقا ، أو في ضبطه لخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها ما لا يقدح . وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه ."([7])

7 –نقل هؤلاء كلاما عن عبد الرحمن بن يوسف بن خراش في طعن الإمام مالك في هشام بن عروة ؛ ولأنهم أصحاب هوى في أنفسهم ، فقد غلبهم هواهم على الأمانة في النقل ؛ فحذفوا من نص كلام عبد الرحمن

---

[1] – المعجم الأوسط – (7 / 94 ط/ دار الحرمين – القاهرة 1415هـ

[2] – الطبقات الكبرى 321/7 مرجع سابق .

[3] – الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي 64/9 ترجمة 249 مرجع سابق .

[4] – الثقات 5/ 502 ترجمة 5940 ط / دار الفكر ط/ أولى 1975م.

[5] – سير أعلام النبلاء 6 / 34 مرجع سابق .

[6] – السابق نفس الجزء والصفحة .

[7] – هدي الساري مقدمة فتح الباري 384/1 مرجع سابق .

مالا يوافق هواهم ، وهو ثناء عبد الرحمن وتزكيته لهشام ، وهاهو النص كما أورده ابن حجر في تهذيب التهذيب :

" قال ابن خراش كان مالك لا يرضاه ، وكان هشام صدوقا تدخل أخباره في الصحيح بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق "([1]) فحذف هذا المدعي قول عبد الرحمن : " وكان هشام صدوقا تدخل أخباره في الصحيح ".

7- ما أنكره الإمام مالك على هشام بن عروة هو أنه صار يروي عن أبيه عند قدومه للمرة الثالثة للكوفة بالعنعنة فهل هذه العنعنة تقدح في صحة الرواية ؟

أقول : لا . لأن العلائي قال : " إن الراوي الذي يطلق لفظة عن أما أن يكون لم يعرف بتدليس أو عرف به فإن لم يعرف بتدليس وكان لقاؤه لشيخه ممكنا أو ثبت لقاؤه له على اختلاف القولين لمسلم والبخاري فلفظة عن محمولة على الاتصال وليس للانقطاع وجه ، ولا للواسطة احتمال ؛ لأن الظاهر سماعه لذلك من شيخه ، والأصل السلامة من وصمة التدليس ، فلا يقاس المرسل على هذا مع ظهور الفرق بينهما . "([2])

وإذا طبقنا هذا على حال هشام بن عروة مع أبيه نجد أن ما ذكره العلائي ينطبق تماماً عليه حيث لم يعرف عنه تدليساً – كما قال العلائي نفسه في ترجمته([3]) ، وثبوت اللقيا مع أبيه لاينازع فيه أحد ، ومن ثم تحمل لفظة (عن) عنده على الاتصال لا على الانقطاع ، وهذا ينفي تماماً عنه وصمة التدليس .

ولذا عقب الإمام الذهبي على ما نقله عبد الرحمن بن خراش عن مالك في شأن هشام ، وقدومه الكوفة وتساهله في الرواية مع أهلها بقوله : " الرجل حجة مطلقاً . "([4])

8 – قول هؤلاء كل رواة الحديث عن هشام عراقيون كوفيون قول إن صح بالنسبة للصحيحين لايصح بالنسبة لباقي كتب السنة ، وقد بنوا طعنهم على كلام الإمام مالك السابق في رواية الكوفيين عن هشام ، فماذا سيقولون إن علموا أن هناك مدنيين ومكيين وبصريين رووا هذا الحديث عن هشام – أيضاً – .ومن ذلك :

ما أخرجه الطبراني بسنده في معجمه الكبير عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَادِ عن هِشَامِ بن عُرْوَةَ عن أبيه ([5]) ، وعبد الرحمن مدني .

وما أخرجه الطبراني بسنده – كذلك – في المعجم الكبير عن – سُفْيَانُ (بن عيينة)حدثنا هِشَامُ بن عُرْوَةَ عن أبيه عن عَائِشَةَ([6]) ، وسفيان بن عيينة مكي .

---

[1] تهذيب التهذيب 45/11مرجع سابق .

[2] جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص 79 ط/ عالم الكتب – بيروت ط/ ثانية 1986 .

[3] – السابق ص 111 .

[4] – سير أعلام النبلاء 6 / 35 – وانظر له – أيضاً – ميزان الاعتدال 4 / 301 ط/ دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ .

[5] – المعجم الكبير 23 / 21 مرجع سابق .

[6] – السابق 23 / 24 .

وما أخرجه النسائي بسنده في سننه الكبرى عن جعفر بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه ([1]) ، وجعفر بن سليمان بصري ... وغيرهم

فهذه الروايات عن هشام من غير أهل الكوفة تؤكد أن كلام الإمام مالك عن تساهل هشام مع أهل الكوفة لاينطبق على هذا الحديث إذ رواه هشام لغيرهم من أهل المدينة ومكة والبصرة .

9- كون حديث السيدة عائشة في شأن سنها عند الزواج لم يروه الإمام مالك في موطئه لايطعن في صحته فكم من الأحاديث الصحيحة لم ترو في الموطأ ، والإمام مالك لم يكن غرضه من تأليف الموطأ جمع الأحاديث الصحيحة حتى نقول إن الذي ليس فيه يحكم بضعفه ، بل إن الموطأ فيه الصحيح والحسن والضعيف .

وبهذا يتبين لنا أن ضعف السند الذي تكلم عنه هؤلاء في رواية الصحيحين أمر لا أساس له من الصحة ، وأن رواية هشام بن عروة لهذا الحديث من أقوى الروايات وأصحها ، كما قال ابن عبد البر في التمهيد :

" ورواية هشام بن عروة أصح ما قيل في ذلك من جهة النقل والله أعلم "([2])

خلاصة المبحث :

نخلص من عرض هذه الشبهات التي آثارها هؤلاء المشككون في صحة رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ والرد عليها ، أن هذه الشبهات اضمحلت وانمحت ، وصارت لاتستطيع النهوض أمام صدق وثبوت رواية الصحيحين ، وأن هذه الشبهات نتجت عند هؤلاء نتيجة غياب المقياس الشرعي عندهم للنصوص والوقائع ، و التسليم لآراء المستشرقين دون آراء السلف ، وعدم معرفة قيمة ومكانة المصادر الشرعية ، والتسرع في فهم النصوص وتأويلها دون الرجوع لأهل الذكر والتخصص ، وتصيد الأدلة والشبهات التي تثبت وترجح ما امتلأت به عقولهم وقلوبهم من آراء سابقة دون تجرد في البحث عن الحقيقة . لذا انطلقوا من شبهات ظنوها مسلمات . لكن عند البحث والتدقيق كانت مجرد آراء لم يسلم يها الكثير ، ولم تحظ بالإجماع كما توهموا .

والذي كتب لهذه الآراء الطاعنة في رواية الصحيحين الذيوع والانتشار في واقعنا المعاصر أن رياح الواقع العالمي والداخلي للمسلمين كانت مواتية لها فانتشرت ، وصارت كل يوم تنتشر أكثر مما قبله ؛ فالعولمة الغربية تزيد كل يوم من وسائلها وضغوطها في فرض المنظور الغربي لحقوق المرأة والطفل ، وأعداء الإسلام يصعدون كل يوم من هجومهم على الإسلام ونبيه ، ويضعونهما في قفص الاتهام بالوحشية والإرهاب وانتهاك حقوق المرأة ...، والعلمانية ضربت بأعطانها في كثير من البلاد الإسلامية ، وصار دعاة التمسك بالثوابت الإسلامية يوصفون بالظلاميين والانغلاقيين ودعاة الجمود والتحجر ، وغدا الطعن في مصادر الإسلام وسيلة سريعة للشهرة الإعلامية والمجتمعية ...مع كل هذه الظروف وغيرها لابد أن تجد مثل هذه الشبهات طريقها للبروز في الواقع الإسلامي .

ولكن مع كل ذلك فإن سنة الله Y ماضية في إزهاق الباطل ودحضه ، والإبقاء على الحق ونصره .

---

[1] سنن النسائي الكبرى 3 / 279 مرجع سابق .

[2] – التمهيد لابن عبد البر – (19 / 108 ط/ وزارة الأوقاف المغربية بتحقيق / سعيد أحمد إعراب سنة 1988م .

قال Ψ : {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ } [الرعد : 17]

الخاتمة

وبعد .... فها قد وصلنا إلى ختام الحديث حول رواية الصحيحين لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي ρ وما ذاع من شبهات حول صحتها وصدقها ؛ لنجيب على السؤال الذي طرحناه في مقدمة البحث وهو : هل غيرت هذه الشبهات التي عارضت رواية الصحيحين في شأن عمر السيدة عائشة عند زواجها من النبي ρ من صدقها وصحتها ؟

أقول : لقد وقفت – أيها القارئ الكريم – على حقيقة هذه الشبهات ، وظهر لك تهافتها وتلاشيها واحدة بعد الأخرى ، ومن ثم لابد أن تكون قد وصلت معي إلى اليقين بأن الصدق والحق أن السيدة عائشة كانت في التاسعة من عمرها عند زواجها بالنبي ρ كما في الصحيحين ، وأن أي تقدير لعمرها يخالف هذه الرواية الصحيحة محض افتراء لا أساس له من الصحة ، ومجرد أوهام لا دليل عليها .

أما عن النتائج التي يمكن استخلاصها من خلال البحث فهي كثيرة اكتفي بذكر بعضها على النحو التالي :

أولاً : أن معظم الشبهات التي يثيرها بعض المستغربين من المسلمين حول الإسلام بمصدريه القرآن والسنة تنبع –غالباً–من منبعين أساسين : الأول :عدم الوقوف عند نصوص القرآن والسنة . والثاني : تقديم العقل على النص .

ثانياً : أن أعداء الإسلام لا يألوننا جهداً في التشكيك في قرآن ربنا ، وسنة نبينا ، ومن مشى ورائهم لن يزيدوه إلا خبالاً كما أخبر الحق بذلك في القرآن الكريم،وكما ظهر من تصديق بعض من الكاتبين المسلمين لهم في هذا الافتراء .

ثالثاً : لايوجد تعارض البتة بين الأحاديث الصحيحة بعضها مع بعض كما زعم هؤلاء الذين عارضوا رواية الصحيحين بروايات في الصحيحين ، وظهر عدم فهمهم لمغزى هذه الروايات وتلك.

رابعاً : ثبت من البحث أن الجهل بترتيب المصادر الإسلامية يجعل من لا علم له يقدم ما حقه التأخير ، ويؤخر ما حقه التقديم ، وهذا يخل إخلالاً كبيراً بالبحث العلمي ، وخير مثال على ذلك هؤلاء الذين عارضوا رواية الصحيحين بكتب السيرة و التاريخ والتراجم أو غيرها من الكتب التي لاتداني الصحيحين في المنزلة والثبوت .

خامساً : أكد البحث أن لكل علم رجاله ، ولكل فن أهله ، ومن لا يأخذ العلم من أهله يورد نفسه المزالق كما حدث مع هؤلاء الذين رموا سند الصحيحين بالضعف ، وهم ليسوا من أهل الحديث ولا حتى من طلابه .

هذه بعض النتائج التي لاحت من خلال البحث ، ومن خلالها أوصي بما يلي :

أولاً : تقريب الصحيحين من أذهان العامة من خلال قراءتهما وشرحهما وتحفيظهما بشكل دائم ومستمر في القنوات الفضائية الإسلامية والإذاعات الإسلامية والمساجد ، وحلقات العلم ، وكل ما يساعد على انتشارهما بين الأمة عامة والشباب خاصة ليفهموا من خلالهما القرآن الكريم ، ويتحصنوا بهما من المكر المبين لأعداء الدين .

ثانياً : التتبع المستمر لكل ما يثيره المستغربون والعلمانيون من شبهات حول السنة عامة والصحيحين خاصة ، والمسارعة إلى الرد عليها وإبطالها ، ونشر هذه الردود بكل وسيلة إعلامية ممكنة ؛ لكي لايفتتوا بهذه الشبهات شباب الأمة ، وبعض قليلي الثقافة الإسلامية فيها .   والله من وراء القصد وهو الهادي إلى الطرق المستقيم

''''

<u>ثبت بأهم المراجع</u>

أولاً : كتاب الله العزيز (القرآن الكريم) .

ثانياً : المراجع (مرتبة ألف – باء)

1- أحكام القرآن لابن العربي ط/ دار الكتب العلمية – بيروت . بدون تاريخ .

2- الاستذكار لابن عبد البر القرطبي ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 2000م

3- الاستيعاب لابن عبد البر ط / دار الأعلام بالأردن ط/ أولى 2002م

4- أسد الغابة لابن الأثير ط/ دار الفكر بيروت د. ت .

5- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط/ دار الجيل بيروت ط/ أولى 1412هـ .

6- أم المؤمنين السيدة عائشة ومروياتها في التفسير من الكتب الستة وتفسير الطبري – رسالة ماجستير للباحث / محمود سليمان علي – بقسم الكتاب والسنة – كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القري سنة 1410هـ

7- البداية والنهاية لابن كثير ط/ دار هجر للنشر والتوزيع – بدون تاريخ .

8- تاريخ الرسل والملوك للطبري ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 1407هـ

9- تاريخ دمشق لابن عساكر ط/ دار الفكر بيروت 1991م

10- تفسير ابن كثير ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع ط/ ثانية 1999م .

11- تفسير الطبري ط/ مؤسسة الرسالة ط : الأولى 1420 هـ – 2000 م

12- التفسير الوسيط – لمحمد سيد طنطاوي ط/ دار المعارف بالقاهرة .

13- التمهيد لابن عبد البر ط/ وزارة الأوقاف المغربية بتحقيق / سعيد أحمد إعراب سنة 1988م .

14- تنقية أصول التاريخ الإسلامي – لحسين مؤنس ط/ دار الرشاد بالقاهرة ط/ الأولى 1997م .

15- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ط/ دار الفكر بيروت ط/ أولى 1984م

16- الثقات لابن حبان ط / دار الفكر ط/ أولى 1975م.

17- جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي ط/ عالم الكتب – بيروت ط/ ثانية 1986 .

18 – الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ط/ دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

19- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ط / دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية 1415هـ

20 – دراسة لحياة أم المؤمنين عائشة على ضوء الكتاب والسنة –لجواهر سرور باسلوم – رسالة ماجستير بجامعة أم القرى – كلية الشريعة – الدراسات العليا الشرعية 1402هـ–

21- الروض الأنف للسهيلي ط/ دار الفكر بيروت 1989م

22 – سنن النسائي (المجتبى) ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط / ثانية 1986م

23 – سنن النسائي الكبرى ط/ مؤسسة الرسالة ط/ أولى 2001م

24 – سير أعلام النبلاء للذهبي ط / مؤسسة الرسالة بيروت –الطبعة التاسعة 1413 هـ 1993 م

25 – سيرة ابن هشام ط/ دار الجيل بيروت 1411هـ

26 – السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي ط/ دار المعرفة بيروت 1400هـ

27 – السيرة الشامية ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة 1997م .

28 – السيرة النبوية لابن كثير ط/ الحلبي ط 1964 م

29 – شرح ابن بطال على صحيح البخاري ط/ مكتبة الرشد – السعودية الطبعة : الثانية – 2003م

30 – صحيح ابن حبان ط / مؤسسة الرسالة – بيروت ط /ثانية 1993تحقيق : شعيب الأرنؤوط

31 – صحيح البخاري ط/ دار ابن كثير –اليمامة – بيروت ط/ ثالثة 1987م

32 – صحيح مسلم بترتيب / محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت

33 – الصديقة بنت الصديق لعباس محمود العقاد ط/ نهضة مصر ط / رابعة 2005م

34 – طبقات ابن سعد ط/ دار صادر بيروت – بدون تاريخ .

35 – فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط/ دار المعرفة – بيروت 1379 هـ

36 – المحلى لابن حزم الظاهري ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ.

37– مسند أبي يعلى ط / دار المأمون للتراث بدمشق ط / أولى 1984م .

38 – المعجم الأوسط للطبراني ط/ دار الحرمين – القاهرة 1415هـ

39– المعجم الكبير للطبراني ط/ مكتبة العلوم والحكم بالموصل ط/ ثانية 1983م .

40– معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصبهاني ط/ دار الوطن للنشر بالسعودية ط/ أولى 1998م

41– مقدمة ابن الصلاح ط / مكتبة الفارابي الطبعة : الأولى 1984 م

42– مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ط/ وكالة المطبوعات بالكويت ط/ ثالثة 1977 .

43– المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ط/دار إحياء التراث العربي بيروت ط/ ثانية1392هـ

44– موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر لعبد المنعم الحفني ط/ مكتبة مدبولي بالقاهرة ط / أولى 2003م .

45– ميزان الاعتدال للذهبي ط/ دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ .

46– النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي ط/ أضواء السلف بالرياض ط/ الأولى 1998م

47– النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري ط / المكتبة العلمية بيروت 1979م

48– ولاية تزويج الصغيرة – لعبد الله بن عبد العزيز الجبرين – بحث منشور ضمن مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية العدد /23 .

فهرس